جامعة أم درمان الإسلامية
كلية الدراسات العليا
كلية اللغة العربية
قسم الدراسات الأدبية والنقدية

أساليب التصوير البياني في شعر حسب الله مهدي فضلة

(دراسة بلاغية نقدية تطبيقية)

رسالة ماجستير

إعداد الطالب: محمد مختار أحمد خِيار

إشراف الدكتور: محمد أحمد حامد إسماعيل حِدربي

١٤٣١هـ - ٢٠١٠ م

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ۝٤ ﴾

سورة الرحمن الآيات (١ - ٤)

الشكر والتقدير

أتقدم بأوفر شكري وتقديري واحترامي بعد الله سبحانه وتعالى إلى أستاذي الفاضل الدكتور/ محمد أحمد حامد إسماعيل حدربي، على ما غمرني به من فضل وأمدني به من علم ونصح وتوجيه مما ساعد على إخراج البحث في صورته هذه، وأن الكلمات تقصر في هذا المجال عن التعبير بما يُراد، وصدق الشاعر حين قال:

الشكر أنفس ما وجدت وإنما أمل الفتى أن يُقبل الموجود[1]

والشكر أوفره إلى جامعتي: أم درمان الإسلامية التي أتاحت لي فرصة البحث في كليتي اللغة العربية والدراسات العليا، وجامعة آدم بركة بمدينة أبشة–تشاد، التي ساعدت كثيراً في نجاح هذه الدراسة، والشكر موصول لأسرة مكتبة أم درمان الإسلامية، و مكتبة جامعة إفريقيا العالمية، على تعاونهم المثمر.

وجزى الله عني خيراً كل من قدم لي يد العون في إنجاز هذا البحث، والله خير الشاكرين.

[1] الشريف الرضي، ديوانه، بيروت: دار صادر، ١٩٦١م، ص١٢

الإهـــداء

إلى والديّ الكريمين، سبب وجودي ورؤيتي لهذا النور

عسى أن أكون بهما براً وفياً

إلى كلّ من علمني حرفاً

إلى أسرة مكتبة أم درمان الإسلامية

أهدي هذا البحث ،،،،

الباحث

مقدمة البحث:

الحمد لله الذي أعطى نبيه جوامع الكلم وفصل الخطاب، والصلاة والسلام على خيرة خلقه، محمد ين عبد الله القائل: " إن من البيان لسحراً وإن من الشعر لحكماً " [1] وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين، ومن سار على نهجه إلى يوم الدين.

(وبعد) فحسب الله مهدي فضله من شعراء تشاد المعاصرين الذين اعنتوا بالشعر العربي الفصيح، وذهبوا فيه مذهباً لا يُستهان به، في بلدٍ تصارعت فيه الثقافات، وتبارت فيه اللغات، فكان حسب الله مهدي فضله ممن فجّر مشاعره وأبرز مواهبه بالعربية فأبلى بلاء حسناً، بذلك كان أول شاعر نال جائزة الإيسيسكو للأعمال الأدبية المتميزة، كما أدرجت وزارة التربية الوطنية بعض قصائده في برامجها التعليمية ، لأن لشعر ابن فضلة نوطة في القلب وعلوق بالنفس ودرك للحاجة، حيث كان يتفنن في استعمال اللغة العربية مما جعل معانيه تنساب كالماء العذب، تظهر في صور جميلة كلما أراد لها الظهور، وتختفيوراء أقنعة الإبهام والكنايات كلما أراد لها ذلك، وكان كل ذلك جديراً بأن يلفت انتباهنا إلى شعره ولاسيما أنه أكثر من الصور البيانية.

وقع اختياري لهذا الموضوع نسبةً لتعلقي بعلم البلاغة التي هي كفيلة بتوضيح الغامض، وإفصاح دقائق التأويل وإظهار" دلائل الإعجاز" ورفع معالم الإيجاز، وأن الشعر ديوان اللغة وتراث الأمة العربية.

- **أما موضوع هذه الرسالة** فهو (الصور البيانية في شعر حسب الله مهدي فضله) الذي أحصيت فيه الصور البيانية (التشبيه-الاستعارة-المجاز المرسل-والكناية) من

[1] صحيح الإمام مسلم، طبعة مؤسسة دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت- لبنان،١٣٠١هـ الجزء الثاني، ص٥٩٤،حديث رقم٨٦٩- كتاب الجمعة.

ديوان الشاعر حسب الله مهدي فضله (نبضات أمتي) ثم تعرّضت لها بالدراسة والتحليل بغية الوصول من خلال ذلك إلى نتائج ملموسة في هذا المجال.

– **أهمية البحث:** تكمن أهمية البحث في التعرف على الصور البيانية من خلال ديوان الشاعر حسب الله.

– **أهداف البحث:** يهدف الباحث من خلال دراسته هذه إلى تسليط الضوء على الصور البيانية الواردة في شعر حسب الله مهدي فضله للوقوف على مقدرته على التفنن في استعمال تلك الصور، ومعرفة معينها المستقاة منه باستخدام الطرق المنهجية.

– **أسباب اختيار الموضوع:** يرجع سبب اختيار الباحث لهذا الموضوع إلى حبه لعلم البلاغة الذي قاده إلى اختيار هذا الموضوع، كما أن لشعر حسب الله نفسه من الحسن ما يجذب المهتمين بالأدب والبلاغة إليه، فتناولته بالدراسة والتحليل والاستقراء بغية التغلغل إلى أعماق هذا الشاعر وكشف جمال شعره ومتابعة أسرار البيان فيه قدر طاقتي، وهذا هو طريقي ومنهجي.

فقد قمت بإحصاء الصور البيانية في ديوان الشاعر ،ثم اخترت منها بعد ذلك أبرز النماذج وأجدرها بإبراز الصور البيانية وألوانها الجميلة المختلفة،لأن ذكر كل ما في الديوان من صور أمر تقف دونه استطاعتي.

الدراسات السابقة: تناول الكثير من الباحثين ديوان حسب الله مهدي فضله(نبضات أمتي) بالبحث والدراسة بشتى الطرق والميادين ؛إلا أنهم في كل ذلك لم يقفوا على دراسة مستقلة للصور البيانية، بل إنما كانت دراستهم لها دراسة ضمنيةً أو تلميحيةً ، منها:

١) أساليب الإنشاء في ديوان نبضات أمتي ،للشاعر حسب الله مهدي فضله ، بحث مقدم لجامعة الملك فيصل بانجمينا – تشاد ، لنيل دبلوم الدراسات المعمقة في البلاغة والنقد من الطالب بشير أحمد سهل في العام٢٠٠٣م – ٢٠٠٤م

٢) الاتجاهات الشعرية في شعر حسب الله مهدي فضله، بحث مقدم من الطالب حمزة أحمداي موسي ، لجامعة الملك فيصل بانجمينا – تشاد ، لنيل دبلوم الدراسات المعمقة في الأدب والنقد لعام ٢٠٠٤م – ٢٠٠٥م .

إضافةً إلى الكتب والأبحاث الأخرى التي تناولت الحديث عن الشاعر وشعره ضمن حديثها عن الأدب التشادي بصورة عامة أو الاستشهاد به.

– **مصادر الدراسة:** تتمثل مصادر الدراسة في ديوان الشاعر حسب الله مهدي فضله(نبضات أمتي) ثم الاستعانة بكتب البلاغة والأدب والنقد والتاريخ والمقابلات الشخصية ذات الصلة بالموضوع.

– **المنهج المتبع في هذه الدراسة:** سلكت في دراسة هذا الموضوع منهجين متلازمين: المنهج الإحصائي، ثم المنهج التحليلي الاستقرائي الذي يقوم على استقراء الألوان البيانية في ديوان(نبضات أمتي) وتحليلها.

– **الصعوبات التي واجهت الباحث:** هناك الكثير من الصعوبات التي اعترضت سبيل الباحث منها ندرة الكتب ذات الصلة بدراسة الأدب التشادي لاسيما الجانب البلاغي والنقدي .

– **هيكل البحث:** يشتمل البحث على مقدمة وخمسة فصول وخاتمة.

تناولت في الفصل الأول منه مولد الشاعر ونشأته، وقسمته إلى أربعة مباحث: المبحث الأول: وطن الشاعر، المبحث الثاني: مولد الشاعر ونشأته وأسرته، المبحث الثالث: ثقافته وتأثره، المبحث الرابع:مكانته الأدبية وأعماله الفكرية والأدبية.

وتناولت في الفصل الثاني(التشبيه في شعر حسب الله مهدي فضله) وقسمته إلى ثلاثة مباحث، المبحث الأول: التشبيه باعتبار طرفيه: حسي وعقلي ومختلف، مفرد ومتعدد ومركب. المبحث الثاني: التشبيه باعتبار وجه الشبه: مجمل ومفصل، وتمثيلي وغير تمثيلي. المبحث الثالث: التشبيه باعتبار أداة التشبيه : مرسل ومؤكد وبليغ.

وفي الفصل الثالث تناولت الاستعارة وفيه مبحثان: المبحث الأول: الاستعارة التصريحية والمبحث الثاني: الاستعارة المكنية، وفي كلٍ منهما دار الحديث حول الترشيح والتجريد والإطلاق.

وتناولت في الفصل الرابع المجاز المرسل وعلاقاته في شعر حسب الله مهدي فضله حيث احتلت المحلية المرتبة الأولى، ثم تلتها الجزئية ثم الحالّية ثم الكلية ثم اللازمية ثم السببية ثم الآلية ثم المسببية. أما في الفصل الخامس فقد تناولت الكناية في شعر حسب الله مهدي فضله وفيه ثلاثة مباحث، المبحث الأول: الكناية عن صفة، والمبحث الثاني الكناية عن موصوف، المبحث الثالث: الكناية عن نسبة، وفي كل مبحث منها دارت الدراسة حول الوسائط (التلويح، والإشارة، والرمز، والتعريض) ومن ثم خلصت إلى الخاتمة التي تضمنت أهم النتائج وبعض التوصيات التي توصلت إليها خلال هذه الدراسة.

الفصل الأول:
حسب الله مهدي فضله مولده ونشأته وثقافته

المبحث الأول : وطن الشاعر

المبحث الثاني : مولد الشاعر ونشأته وأسرته

المبحث الثالث : ثقافته وتعليمه وتأثره

المبحث الرابع : مكانته الأدبية وأعماله الأدبية والفكرية

الفصل الأول:
حسب الله مهدي فضلة مولده ونشأته وثقافته

المبحث الأول: وطن الشاعر

تبدو هناك ضرورة ملحّة لمعرفة وطن الشاعر(تشاد) الذي سيكون محور الدراسة جزءاً منه ، وذلك من خلال تسليط الضوء على ما في هذا الوطن من نواحي مختلفة، وأركان متعددة تجعل القارئ ينظر إلي الموضوع المدروس شيئاً طبيعياً جاء نتيجةً لعدة عوامل ومؤثرات بيئية وجغرافية وتاريخية واجتماعية أثرت في هذا الشاعر فترجمها إلى شعر معبر عن تلك الشجون.

تقع تشاد في وسط القارة الإفريقية، وتنحصر بين خطي طول ٧° و ٢٤° شمال خط الاستواء، وبين خطي عرض ١٣° و ٢٤° شرق خط غرينتش[١]. وتحدها من الشمال ليبيا، ومن الغرب جمهورية النيجر ونيجيريا، ومن الجنوب الغربي جمهورية الكمرون، ومن الجنوب جمهورية إفريقية الوسطى، ومن الشرق السودان، ومساحتها ١.٢٨٤.٠٠٠ كلم² [٢] ، وتعتبر تشاد خامس دولة إفريقية من حيث المساحة، بعد كل من السودان (٢.٥٠٥.٨١٣ كلم²)، والجزائر (٢.٣٨١.٧٤١ كلم²)، وجمهورية الكونغو الديمقراطية (٢.٣٤٤.٨٨٠ كلم²)، وليبيا (١.٧٥٩.٥٤٠ كلم²) [٣].

قدّر صندوق الأمم المتحدة للسكان في تقريره السنوي لعام ٢٠٠٨م أن عدد سكان تشاد حوالي ١١.١ مليون نسمة، ونسبة النمو الديموغرافي فيها ٢.٩ % [٤]. ويدين سكانها بديانات مختلفة منها: الإسلام (٥٣.٩%)، والديانة المسيحية الكاثوليكية (٢٠.٣%)،

---

[١] DREM, BRA. DEFPE. Département de Géographie de l'Université de N'djamena. Novembre ١٩٩٨. p١

[٢] http://www.primature-tchad.com. Mis à jour, mercredi le ١٥ Août ٢٠٠٧. Pp ١ et ٣

[٣] محمد عبد العزيز، أطلس العالم للأطفال والناشئين، (القاهرة: دار الطلائع للنشر والتوزيع، ٢٠٠٥م)، ص ١٥

[٤] Fonds des Nations Unies pour la Population (L'UNFPA), Rapport sur l'Etat de la population mondial ٢٠٠٨

والبروتستانتية (١٤.٤%)، والوثنية (٧.٤%)، وبدون دين (٣.١%) وأخرى غير محددة (٠.٩%). وتعيش فيها قبائل مختلفة العرقيات عربية وغير عربية [١].

ينقسم مناخ البلاد إلى:

– المنطقة الشمالية – صحراوية – تصل مساحتها ما يقارب ألـــ ٦٠٠.٠٠٠ كلم²، مناخ صحراوي جاف، حار نهاراً وبارد ليلاً، تصل درجة الحرارة في الصيف إلى ٤٦ درجة مئوية، وتقدر معدل الأمطار السنوي فيها ما بين ٥٠ إلى ٢٠٠ ملم، بدءًا من شهر يوليو إلى أغسطس.

– المنطقة الساحلية – وسطى – مناخها ساحلي، يبدأ فيها موسم الأمطار من شهر يونيو إلى أواخر سبتمبر، ويتراوح معدل الأمطار السنوي ما بين ٤٠٠ إلى ٨٠٠ ملم.

– منطقة السافنا، صيف حار وشتاء بارد وجاف، ويبدأ موسم الأمطار فيها من يونيو إلى سبتمبر.

– وفي الجنوب المناخ سوداني رطب ومعتدل، حيث الطقس استوائي، يبدأ موسم الأمطار فيها من بداية شهر مايو إلى نوفمبر، ويتراوح معدل الأمطار فيها ما بين ٨٠٠ و ١٢٠٠ ملم[٢].

لقد شهدت تشاد ما قبل الغزو الاستعماري عام ١٨٩٠، صعود وانهيار أربع ممالك ساحلية، كان لكل منها مرحلة ازدهاره.

الأولى: مملكة (كانم) التي كانت في القرن الثالث عشر تسيطر على الحركة التجارية عبر الصحراء من منطقة كانم إلى طرابلس الغرب وإلى تونس.

الثانية: مملكة (بورنو) التي عرفت قمة ازدهارها في القرن الرابع عشر.

الثالثة: مملكة (ودَّاي) التي كانت لها علاقات وثيقة في القرن الرابع عشر بدول وادي النيل (السودان ومصر). وكانت مدينة أبشة تُعدُّ في ذلك الوقت مركزاً ثقافياً هاماً، ونقطة مرور للحجاج الأفارقة المتجهين إلى مكة المكرمة عبر السودان والبحر الأحمر.

---

[١] Bureau Central du Recensement Général de la Population et de L'Habitat ١٩٩٣, Volume ٣, Tome ٢, N'djamena, Juillet ١٩٩٥, Pp ٢ et ٣

[٢] Op. Cit. p٢.(١) http://www.primature

رابعاً: مملكة (باقرمي) التي امتدت نفوذها إلى جنوب البلاد، وقد كانت لباقرمي علاقات تجارية وثيقة مع مصر وتركيا[١].

استولت فرنسا على تشاد في ١٨٩٠.٠٩.٠٥، وأعلنت قيام الإقليم العسكري في البلاد، وهو يضم عرقيات مختلفة، وسيطرت على جميع المناطق في عام ١٩١٢، وفيما بعد ضمت فرنسا تشاد إلى مجموعة مستعمراتها المعروفة باسم إفريقيا الاستوائية الفرنسية[٢] (Afrique Equatoriale Française) وهي تضم جمهوريات كلٍ من الكمرون، وجمهورية إفريقيا الوسطى، والكونغو برازافيل، والغابون، وغينيا الاستوائية، وتشاد. وتم إعلان تشاد جمهورية في ١٩٥٨.١١.٢٨، وحصلت على الاستقلال في ١٩٦٠.٠٨.١١ [٣]. وظلت الإدارة العسكرية الفرنسية في مناطق الشمال تحت الإدارة الفرنسية حتى يناير ١٩٦٥. أي بعد خمسة أعوامٍ على استقلال تشاد، وكان هذا يعني أن العسكريين الفرنسيين كانوا حتى هذا التاريخ يقومون بأعمال المحافظين والقضاة والممرضين في هذا الإقليم الشاسع الذي تبلغ مساحته ٥٨٠.٠٠٠ كلم [٤].

الحياة الثقافية: عرف الإنسان التشادي الثقافة بمفهومها الأوسع منذ زمن بعيد ، ذلك المفهوم الذي يتجلى في قول الجبوري: "إن الثقافة هي حصيلة الحياة الإنسانية في كافة المجالات، لأنها تجمع أنماط الحياة الروحية والفكرية واللغوية والأدبية والفنية"[٥].

فقد مرت البلاد بمراحل مختلفة عرفت فيها تقدماً للحياة الثقافية ثم انحطاطاً ثم بعثاً وتجديداً، معنى ذلك أن منطقة حوض بحيرة تشاد قد عرفت تقدماً حضارياً كبيراً قبل الاستعمار الفرنسي حيث ازداد اهتمام سلاطينها بالعلوم واللغة العربية وفنونها وآدابها اهتماماً كبيراً أدّى إلى ازدهار العلم والأدب في المنطقة، ثم انهار هذا التقدم بانهيار الممالك الإسلامية التي أطاح بها الاستعمار وقتل علماءها وشرد مثقفيها؛ إلى أن جاء

---

[١] نبيه الأصفهاني، أزمة تشاد بين الصراع المسلح والمصلحة الوطنية ، مجلة السياسة الدولية ، (القاهرة: مطبعة الأهرام، ١٩٧٩م) ص ١١٥ ـ ١١٦.

[٢] حسن سيار بشارة، تطور الوظيفة العمومية في تشاد، بحث لنيل درجة الماجستير بالمدرسة الوطنية للإدارة العمومية، الرباط ١٩٨٩م، بحث غير منشور، ص ٣

[٣] Constitution de la République du Tchad, Octobre ١٩٨٩ Édité par la Présidence de la République. p٦

[٤] آدم عبد القادر، مشكلة انتاج البرامج الإخبارية التلفزيونية في تشاد، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير بكلية الإعلام - جامعة أم درمان الإسلامية ٢٠١٠م ، ص ص ج-٢

[٥] جميل عائد الجبوري (الدكتور)، دراسات في الحضارة الإسلامية، الطبعة الأولى، ص: ١٤.

الاستقلال فبدأت بوادر النهضة باللغة العربية وآدابها تظهر، ويقول في هذا الصدد فضل كلود: "عرفت منطقة بحيرة تشاد الإسلام منذ القرن الأول الهجري وابتدأ ينتشر سلماً بين سكان كانم إلى أن تحولت مملكة كانم من الوثنية إلى الإسلام في القرن الحادي عشر الميلادي"[١]. "وجاءت مع الإسلام اللغة العربية التي غدت مع تحول مملكة كانم إلى الإسلام لغة الدولة التي اتخذتها لساناً لها وعملت على تشجيع العلم والعلماء مما أدّى إلى ازدياد تأثيرها بحيث غدت لغة الحكم والسياسة والمعاهدات الدولية ولغة الإدارة والاقتصاد ولغة المعاملات التجارية ولغة العلم والثقافة والفنون"[٢]. ومنذ وقت مبكر أيضا ظهر الشعر العربي في كانم ومن بعدها في باقرمي وودّاي بعد قيام السلطنات الإسلامية فيها.

ويضيف الدكتور عبد الله حمدنا الله : "وإذا كان الشعر العربي في ظهوره الأول في منطقة كانم فحسب؛ فإنه في ظهوره الثاني شمل إلى جانب كانم: باقرمي وودّاي؛ بل إن ودّاي منذ تلك الفترة أصبحت مركز الثقافة العربية الإسلامية في حوض بحيرة تشاد إلى زمان الناس هذا[٣].

ومن أشهر شعراء الفترة الأولى التي ذكرها حمدنا الله: هو إبراهيم الكانمي[٤]. الذي ذاع صيته شرقاً وغرباً، فهو الشاعر المفضل في مصر وبلاد الموحدين لدرجة أنه زاحم شعراءها فغاروا عليه وأرادوا الانتقام منه، فقال غير مكترث:

ما بعد أبي إسحـــاق منـــــزلةً ... يسمو إليها فتىً مثلـــي ولا شـــرف
أَ بَعْدَمَا بركَتْ عيسي بســـــاحته ... وصرتُ من مــائة اللُّجِّــيِّ أغترف
همّوا بصرفي وقد أصبحتُ معـــرفةً ... فكيف ذلك واسمي ليس ينصـــرف

وقد مدح ابراهيم بن يعقوب أخا ملك الموحدين بأبيات مشهورة جاء فيها:

---

[١] فضل كلود الدكو (دكتور) الثقافة الإسلامية في تشاد في العصر الذهبي لإمبراطورية كانم،منشورات كلية الدعوة الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م، ص: ٧٥.

[٢] طرخان، إبراهيم علي، امبراطورية البرنو الإسلامية، الهيئة العامة للكتاب سنة ١٩٧٥م، ص: ٧-١٧.

[٣] حمدنا الله عبد الله حمد نا الله أولية الشعر التشادي،دارسات إفريقية ، مجلة بحوث نصف سنوية، يصدرها مركز البحوث والدراسات الإفريقية بجامعة إفريقيا العالمية، العدد (٨)، ديسمبر ٢٠٠٢م، شوال ١٤٢٣هـ،،ص: ٥٦.

[٤] هو إبراهيم بن يعقوب أبو إسحاق الكانمي الأسود النحوي الشاعر، توفي سنة ثمان وستمائة بمراكش . (انظر صلاح الدين خليل ين أبيك ألصفدي، كتاب الوافي بـالوفيات ،تحقيق:أحمد الأرنا ؤوط وتركي مصطفى، بيروت-لبنان،دار إحياء التراث العربي١٤٢٠هـ٢٠٠٠م)

أزال حجابَه عَنِّي وعَيْنـــــي تَـــــراهُ مِـــنَ المَهابةِ في حـِجاب
وقَرّبنـــي تَفَضُّـــله ولكـــــــــن بَعُـْدتُ مهـــابةً عنـــــــد اقترابي

وقال في دفاعه عن لونه الأسود:

إنِّي وإنْ أَلْبَستْني العُجـمُ حُلّتـــها فقد نمـــاني إلى ذكـــوانها مُضـــر
فلا يسوءك من الأغمـــاد حالكـــــــها إن كان باطنـــها الصمصـــامة الذكر

وإذا كان الكانمي بكل هذه الدرجة من الجودة فإن هذا لا يد فعنا إلى القول بأنه أول وآخر شاعر في مستواه))[1].

أما المرحلة الثانية فهي مرحلة الانحطاط، وهي تلك الفترة التي احتلّ المستعمر فيها البلاد وحاول فيها فرض ثقافته؛ إلا أن سواعد المقاومين من أبناء الوطن رفضت له ذلك، فأمر بقتل العلماء والمثقفين ثقافة عربية حتى يفسحوا المجال لثقافته الوافدة، فقتل في مدينة أبشه وحدها ما لا يقل عن مائتي عالم سنة ١٩١٧م، قُطعت رؤوسهم بالساطور وأمر المستعمر الفرنسي عماله من السنغاليين أن يدفنوا الجثث في الرمال من وادي أم كامل القريب من موقع المذبحة حتى تأتي مياه الخريف فترميهم في مكان سحيق يضيع به ذكرهم وأثرهم؛ إلا أن قدرة الله شاءت أن يأتي الخريف من العام نفسه وتأخذ المياه لها مجرى آخر؛ وتظل المقبرة شاهداً على صنيعهم وتعرف هناك باسم(قبور الشهداء)[2].

وقد صور المذبحة الشيخ الرماسي بقوله:

قتلوا مشايخنا الكـــــــلاب الجُحَّد في كزٍّ[3] من شهـــــــر المحرم الأسعد
قطعوا الرؤوس من الرقاب (بكبكب) سال الدماء على التـــراب المجـــمد
تركوا الرؤوس ودفنوا أجســـادهم جعـــــلوها عبثـــا لأهـــــل محمد
بهرام سعد الدين عبد الـــــحق يا بحر العـــلوم علـــي بن محمـــد

---

١ حمدنا الله عبد الله حمد نا الله أولية الشعر التشادي،دارسات إفريقية ، مجلة بحوث نصف سنوية، يصدرها مركز البحوث والدراسات الإفريقية بجامعة إفريقيا العالمية، العدد (٨)، ديسمبر ٢٠٠٢م، شوال ١٤٢٣هـ،،ص: ٦١.

٢ نقلا عن السيد أحمد محمد الخيار (والدا الباحث)سنة ١٩٩٩م الذي شهد المذبحة في الخامسة عشر من عمره وكان حينها على سطح منزلهم الذي يقرب من المكان بحي الجعتنية.

٣ كز: صنعة بديعية، تعني ٢٧ من شهر محرم، والقصيدة لا تسير بوزن صحيح

وأبو بكر بن الولـــــي إما منـــــا يعقوب سبط خليـــــل ينفعـــنا غـد
والشيخ عبد الحق عند وفـــــاته نطق الشهادة جسم رجـــــل واليد
بهرام عند القتل طـــــار وقال يا رباه يا غوثـــــاه يجمعنـــــا غد
والعم عند الذبح قـــــال لأهله لا تغفلوا عن ســـــــرها قد تبعد
وعلي عند القتل قال الحمـــــد لله المقـــــدر وعـــــده فلنقتـــد
والشيخ سعـــد الدين عنـــد وفاته نطق الشهـــــادة باللســان الأسعد
بشراهم عند الوقوف حســـــابهم بشرى وبشـــــرى جنـــــة وتخلد
ثم الصلاة والسلام علـــــى النبي والآل والأصحاب ثـــــم المقتدى[1]

هكذا ظلت الحياة الثقافية راكدة طوال فترة وجود المستعمر في البلاد لأنه أخمد الشعلة التي أضاءت للناس الطريق، كما هاجر الكثير ممن تبقى من العلماء والمثقفين إلى دول الجوار لاسيما السودان ومصر، وظل الحال هكذا إلى أن عاد الشيخ عليش محمد عووضة من مصر في و قتٍ بدأ التعسف الفرنسي ينخفض، ففتح حلقته في البيت أولاً ثم حوّلها إلى معهده الذي افتتحه عام ١٩٤٤م، ودرّس فيه بالطريقة الحديثة التي اعتمد فيها السبورات، ومنح طلابه الإجازات الأسبوعية، فكان في افتتاح كل عام دراسي أو اختتامه ينظم احتفالاً يعرض فيه الأساتذة والطلاب إبداعاتهم ومن ذلك قوله في افتتاح العام الدراسي ١٩٤٧م:

صاح عرج على رياض الخزامـــى قف رويداً وقل ببشر سلامـــا
واسأل الوافدين ركب التـــــهاني هل أناخوا بدار سلـــمـــى الهياما
ذاك عيد يقام فيه احتفـــــــال زاهر مشرق رفيـــع مقامـــا
كيف لا والذي به نحفل اليـــــو م حري بأن يـــــلاقي ابتسامـــا
هو بدء الدروس بالمعهد العـــــ لمي وسعد السعود عـــالي المقاما
هو مجد العلا وتاج البـــــرايا وفخور بأن يحـــوز الختاما
هو يوم كالشمس فيه ابتهـــــاج وهو يوم يعيد ذكرى القدامى

[1] التجاني، الحاج مكي عبد الله، طريق الهدي والرشاد في التصوف القويم، ص: ١٢٣-١٢٤.

هو يوم تنار فيه عقـــــــــــول وهو يوم تزداد فيه ابتساما
هو فخر للمسلمين انتصـــــــــار وهــو في الوقت للعداة النــدامى[1]

فانكب الناس على النظام التعليمي الجديد الذي جاء به الشيخ عليش حيث وجدوا فيه ضالتهم، ففي فترة وجيزة بلغ تلاميذ المعهد العلمي الإسلامي الذي أسسه الشيخ عليش أكثر من ثلاثمائة وخمسين، فأمرت الإدارة الفرنسية بإغلاقه ونفَتْ مؤسسه عام ١٩٥٣م[2] إلى السودان.وفي ذلك يقول حسب الله مهدي فضله:

فغُصّ مستعمرُ الأوطان وارتجفت به العظام وشلت منه أوصال
وصاح ما بال هذا الشيخ في دأب عليه فيض من التأييد ينهـــال
وذي منارته بالعلم ساطعـــــــة ما للخفافيش في الأنوار إقبال
إن ينشر العلم لا تثبت قواعدنـــا فإنما نحن عند الجهل أبطال
فلْيُمح معهده وليُلغ منهجـــــه وليُجز بالنفي إن النفي قتّال
فسجّل المجد والتاريخ ملحمـــة للحق تشهد أن الشيخ رئبال[3]

ولكن هذه الشعلة التي أو قدها الشيخ عليش لم تخمد بل ازدادت وازداد فتيلها، حيث توزعت الدروس في بيوت العلماء وكبار التلاميذ على شكل حلقات إلى أن أعلن استقلال البلاد من الاستعمار؛ ومن هنا بدأت المرحلة الجديدة للغة العربية وثقافتها حيث ثم افتتاح المعهد العلمي الإسلامي من جديد، وانتشرت بعد ذلك معاهد ومدارس عربية كثيرة، لأن الرئيس الأول للجمهورية المستقلة كان وطنياً يحب كل ما هو وطني، فقد قدم دعوة إلى الشيخ عليش محمد عووضه، استجاب لها الشيخ عام ١٩٧٢م وحضر إلى العاصمة انجمينا، فاستقبله الرئيس بحفاوة واعتذر له لما حصل لأن ذلك كان من صنع المستعمر، وطلب منه أن يعود إلى وطنه ليساعد في تطويره وتقدمه، رضي الشيخ بكل المقترحات المقدمة له؛ فما إن عاد الشيخ إلى السودان

---

[1] الندامى: الصواب فيها الندامة من الندم. وربما يرجع الخطأ لسوء فهم الراوي
[2] الماحي،عبد الرحمن عمر الماحي، تشاد من الاستعمار حتى الاستقلال، ١٩٠٠م – ١٩٦٠م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر ١٩٨٢م، ص: ١٠١.
[3] ديوان الشاعر، ص٨٢-٨٣

استعداداً للرجوع حتى أدركته المنية هناك[1]. واستمر النشاط الثقافي بعد ذلك في مدينة أبشه أولاً، ثم انتشر منها إلى العاصمة انجمينا وكل المحافظات الأخرى بصورة سريعة، فكثرت المدارس والمعاهد في كل مكان مما أتاح الفرصة لإيجاد عدد كبير من المثقفين ثقافة عربية إسلامية، وقد كان تأهيلهم جهداً ذاتياً مدعوماً من المواطنين أنفسهم، فرأت الدولة أنه من المفيد أن تتبنى كل المدارس والمعاهد الأهلية هذه وتنظمها إدارياً وتربوياً فنظمت أول شهادة ثانوية عربية لهذه المؤسسات عام ١٩٨٧م، مما أتاح للناجحين فيها الدخول في الجامعات ومعاهد المعلمين. كما اعترفت الدولة باللغة العربية لغة رسمية للبلاد إلى جانب الفرنسية في أول دستور للبلاد، فنشطت الحركة العلمية ونشط بجانبها أهل المواهب والإبداعات والفنون، فظهر الشعراء بكل مناحيهم ومذاهبهم مرة أخرى بالإضافة إلى المثقفين العائدين من البلدان العربية، حتى إن مدنية أنجمينا كانت تعج بشعرائها في الفترات الأخيرة لدرجة أنهم صاروا يتربصون بكل حدث ليصوروه، ويتبارون في الندوات والأمسيات الشعرية التي تنظمها الجامعات والنوادي الثقافية بحضرة النقاد الكبار أمثال الدكتور محمود العزب، أو عبد الله حمدنالله الذي عُرف باهتمامه بالشعر التشادي. فظهرت اتجاهات شعرية لها روادها ومؤيدوها أمثال الاتجاه المحافظ الذي يتزعمه الأستاذ الراحل عباس محمد عبد الواحد الذي مدح محمد بن إدريس كنانة بقوله:

لذوي المكارم شيمة وإبـــــاء وفضيلة وسماحة وسخـــاء
ورجاحة العقل السليم فهـــــذه هبة الإله وكلـــــــها آلاء
وأخص منهم بالثناء محمـــــداً للبائسين مسرة ورجـــــاء
والوافدون متى أقاموا عنـــــده لا يشعرون بأنهم غربـــــاء
يقري الضيوف فكل ركنٍ شاهد للبيت فيه من الطعام إنـــاء
رجل السماحة والديانة والوفاء تبدو عليه بشارة بيضـــــاء

[1] مقابلة شخصية مع السيد حمد جرمة خاطر، مدير مكتب الرئيس ومترجمة أثناء لقائه بالشيخ عليش، وأجريت المقالبة معه في منزله بانجمينا في ١٩٩٨/٦/٢٥م.

وله مزايا لا تعد لحاســــــــب ومزيد فضلٍ ليس فيه خفاء

الكل يعلم من شمائله كما اعتــ ــرفت بفضل سخائه الأعداء[1]

وممن سار على منوال هذا الشاعر: حسب الله مهدي فضله، ومحمد عمر الفال، وغيرهما، وبالمقابل هناك الاتجاه التجديدي في الشعر الذي تزعمه الشاعر عيسى عبد الله ومن سار على نهجه من الشعراء الشباب، أمثال: عبد الواحد حسن السنوسي وعبد القادر محمد أبّه ،الذين طرقوا بشعرهم الأبواب المختلفة . فهاهو عبد القادر محمد أبه يهيء النفوس لتحرير بيت المقدس من اليهود في قصيدته " لك الله يا قدس":

أين الجهابذ في الإسلام هل قُبروا؟ أم ابْتُلُوا فجأةً لكنهم صبـــــــــروا

صبر يكاد يكون اليـــــأس شيمته فأيّ صبر لنا والهود انتصـــــروا

يافا، وحيفا ،وبيت القدس مقــدسنا قد دنّسته بغايا الهود والكـــــفر

عاث اليهود فساداً في مواطننـــــا وقتلوا قومنا صبراً وقد قهـــــروا

وشردونا وذلّونا وقد علـــــــموا نحن الذين لنا التاريخ معتبـــــــر

ياأيها المسجد الأقصى الذي سجدت بأرضه جبهة الأصحاب بل عمـــرو

مسرى النبي رسول الله قد طــهرت مر العصور فلا التدنيس لا العهـــر

فكيف نتركها للهود ترتعـــــــــها نسل الخنازير بالتوراة قد كفـــروا

وكيف نتركها للهود عاصمـــــــــة يا ليت شعري متى الهيجاء تستــعر

(٢) الحياة السياسية

والمقصود بالحياة السياسية هنا هي تلك الأحداث الهامة التي أثرت في مجريات الحياة السياسية فتأثر بها الأدب؛ لأن الأدب يتأثر بما يتأثر به الناس.

فقد عاش الناس قبيل الاستعمار نظاماً ملكياً ثوابته الإسلام والأخلاق ولغته هي اللغة العربية إلى أن جاء الاستعمار فاحتل البلاد بعد مقاومة عنيفة أفقدته أعزّ القادة في جيشه، فقد قُتل القائد لامي (Lamy) [2] في المعركة الطاحنة التي دارت بينه وبين رابح

---

١ عباس مجمد عبد الواحد: الملامح، ديوان شعر. ص: ١٢.

٢ Lamy اسم لقائد الحملة الاستعمارية إلى تشاد، قُتِل في الحدود الكمرونية التشادية سنة١٩٩٠م

بن فضل الله في الحدود التشادية الكمرونية سنة ١٩٩٠م. كما قتل القائد الأخر مول (Mol) [١] وجلّ أعيان القيادات الفرنسية الغازية في معركة دَرُوتي في ودّاي بالقرب من الحدود السوادنية سنة ١٩١٢م.

فبعد أن تم الاحتلال بعد مقاومة شرسة في كل مكان ما وجد المستعمر مبرراً لوجوده، لأنه لم يأت بجديد في مجال الحضارة، فعمد إلى تقتيل العلماء وطمس المعالم حتى تفسح له المجال بالقوة، فأقام مجزرة الكبكب الشهيرة سنة ١٩١٧م، بمدينة أبشه، وغير ذلك من الممارسات الاستفزازية التي أثارت غضب المواطنين عليه، فما إن أُعلن استقلال البلاد حتى ظهرت حركات التحرير من جديد ونادت بتغيير النظام الذي جاء به المستعمر في كل ميادين الحياة.

وأكبر حركة عرفتها البلاد هي جبهة التحرير الوطني المعروفة اختصاراً باسم (FROLINAT) [٢] التي تأسست عام ١٩٦٣م نتيجة للتدخل الفرنسي في شؤون البلاد مباشرة بعد الاستقلال والممارسات القمعية ضد المواطنين، فقاومت الحركة النظام الذي تسلم مقاليد الحكم من المستعمر والمستعمر المتخفي تحت النظام معاً؛ فأسقطت النظام بالجملة سنة١٩٧٨م، إلا أن التدخل الفرنسي قد تغلغل في صفوف المقاومين وفرقهم إلى شيع وأحزاب "وكل حزب بما لديهم فر حون" لأنه ما من نظام يقوم في تشاد منذ ذلك التاريخ إلاّ ولفرنسا اليد الطولى فيه، خوفاً منها أن تخرج تشاد من قبضتها نسبة لموقعها الهام هذا من جهة، ومن جهة أخرى تخشى هي أيضاً من الأنظمة التي تطالب بنبش الملفات السوداء، وفي ذلك يقول الشاعر عيسى عبد الله متأثراً بالوضع الذي سلف ذكره في قصيدته" النصر لنا ":

صفّوا المنكب حــذو المنكبْ

لن نجعلَــها دمــعاً يسكبْ

لكن قد ماً يمضي الموكبْ

---

١ Mol اسم القائد الثاني للحملة الاستعمارية إلى تشاد، قُتِل في معركة دَرُوتي (ودَّاي) سنة ١٩١٢م

٢ FRO. LI. NA .T. اختصارا للجملة الفرنسية: Front National de la Libération du Tchad والتي تعني: الجبهة الوطنية لتحرير تشاد التي تأسست عام ١٩٦٣م

يمضي حتى نصل الكوكبْ

معنى ًوسنا

وظهور منىً

والنصر لنا

صرعى كتبوا بدمٍ طرسا

وشهادتهم كانت عرسا

عند المولى نعم المرسى

فلقد فازوا وجنوا غرسا

وفرنسا ما وعت الدّرسا

زرعت فتناً

فجنت إحناً

والنصر لنا

وقد كان الشاعر أحد المؤسسين للحركة المذكورة التي قادها إبراهيم أبتشا. وفي ظل هذه الظروف الحرجة والأوضاع السياسية المتغيرة تعاقبت أنظمة على السلطة في البلاد كان من الصعب عليها التوفيق بين أطماع المستعمر الخفي وإرادة الشعب.

بلادنا أوهنت بالحـــــرب إذ تُركت تعيث فيها عقوداً بالردى الوغـــــم[1]

دُكّت معالمنا هُدّت ثقـــــــــافتنا صرنا حديثاً وقيلت حولنا التهـــــم

واليوم عادت لنا الألباب واتضــحت لنا الطريق وزال العي والصـــــــم

فلنستعد همة نبني البلاد بـــــــها بالعلم والعزم يُبنى الشامخ العلـــــم

نريدها حرة عظمى دعائمـــــــــها العدل والأمن والقانون والقلـــــــم

سمحاء تزخر بالأخلاق فتيتـــــــها فإنما الأمم الأخلاق والقيـــــــــم[2]

[1] الوغم: الهلاك

[2] ديوان الشاعر، ص: ٧٤.

فكان لكل التغيرات السياسية والاحداث المتعاقبة اثر في نفوس الناس لاسيما الادباء منهم حيث سجلوها في قصائد وروايات مثيرة ، ومن ذلك قول حسب الله في قصيدته " العربية لغتنا " :

أو كدعوته إلى الوحدة والدفاع عن الوطن في قصيدته (إلى شباب تشاد):

وأجدادٍ لنا كرهوا القيـــــــودا ولم يقعوا المخلوق سجـــــــــودا
إذا ما استغضبوا لبــسوا الحديدا شعارهم أموت ولا أبـــــــــالي
فلسْنا منهم إن لم نصنـــــــها جميعا بالسلاح نـــــــذب عنها
ولا نرضى انتقاص الشــبر منها فما رضي النقيصة ذو كمـــــــال
فإن تفرّق الأهواء غـــــــول لإنهاضٍ به يُشفي الغـــــــــليل
وما في غير وحدتها ســـــبيل به الأوطان تمنى بالهـــــــزال[1]

(٣) الحياة الاجتماعية :

يتكون المجتمع التشادي من قبائل وفي داخل كل قبيلة بطونها وأفخاذها، وذلك في القبائل العربية وغير العربية، لأن الإنسان التشادي بطبعه ميّال إلى التمسك بعاداته وتقاليده، لذلك نشأ في إطار كل قبيلة طبقات ثلاث:

١. طبقة عليا : وتشمل أعيان القبيلة من ذوي النسب والحسب

٢. طبقة وسطى: وتتكون من الرعية و سائر العمال وأصحاب المهن

٣. طبقة دنيا: وتتألف من المنبوذين في القبيلة وهم لا يمارسون إلا مهناً مخصصة بهم لا يشاركهم فيها غيرهم من الناس. هذا المفهوم ظلّ سائداً في عقول الناس إلى يومنا هذا، إلا أنه بدأت رؤية الناس لبعض أفراد الطبقات الدنيا تتحسن نسبة للوعي الثقافي في المجتمع، ومع ذلك فإن عامل القبيلة لا يشكل حاجزاً في الانصهار والتزاوج المتكافئ، حيث تجد التداخل المستعمر بين القبائل. والمجتمع التشادي بطبعه مجتمع متسامح كريم، يأبى الذل والإهانة أياً كان نوعها ومصدرها، يُؤْثر الرجال

[1] المصدر نفسه، ص: ٧٤- ٧٤. وفي القصيدة تنويع في القوافي

على النساء؛ في حين أن النساء أيضاً لهن مكانتهن الهامة في المجتمع، يهتم بتربية الأطفال على الشجاعة والكرم وحب الدين والعادات، وفي كل ذلك تجد سمات البادية تطغى على الحضارة قيه.أما التقسيم الاجتماعي الذي ذكره الدكتور حسن محمود بأن المجتمع ينقسم إلى ثلاث طبقات: طبقة الرؤساء والوزراء والقواد وكبار الدولة وعليه الناس، وطبقة ثانية هي طبقة الموظفين وصغار التجار والصناع الممتازين، وطبقة أخيرة هي طبقة العامة من الرعية. فهذا تقسيم ينطبق على مجتمعات أخرى قطعت شوطاً في المدنية والوعي، لأن نسبة الأمية في تشاد ما تزال مهيمنة، كما أن سمات المجتمع التشادي هي سمات بدوية أكثر مها حضرية[1].

ويقول الشاعر حسب الله في الاهتمام بالعادات والتقاليد:

ما قيمة العاقل الواعي بلا أثـــــر　　به يخلد ذكر الأصل في العقـــب
عرفتم قيمة الآثـــار إذ بعـــــدت　　وأُهْمِلَت ْإذ بدت منكم على كثــب
ما نجتني من تراث الغير إن بقيــت　　آثارنا كحطامٍ في الخلا الرحب[2]

وقال في مؤامرة المستعمر وحقده على الشيخ عليش:

حاكوا الدسائس حول الشيخ فانتشــرت　　منهم عليه كلاليب وأحبـــال
لكن مضى الشيخ سيفاً دونه سقطـــت　　نبل الضلال وفلّت عنه أنصال

[1] الدكنور حسن محمد حسن: تاريخ الشعر التشادي، دار طيبة للطباعة، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤، ص: ٣-٤.
[2] ديوان الشاعر، ص: ٨٨.

المبحث الثاني : مولده ونشأته

ولد حسب الله مهدي فضله عام ١٩٧٤م، بمدينة أبشة حاضرة الثقافة العربية والإسلامية، وهي تقع على بعد ٨٨٠ كيلومتراً شرق البلاد، في الحدود المتاخمة للسودان من ناحيته الغربية . وهي الآن عاصمة ولاية ودّاي التي تضم ثلاث محافظات (وارا – وأسنقا – وسيلا) وقد اشتهرت مدينة أبشة قبيل الاستعمار بوفرة العلم والعلماء فيها حتى صارت قبلة الوافدين ، ومنارة المهتدين من بلاد أفريقيا ، وذلك بعد قرطبة، وتمبكتو ، وسكتو .

أسرته: ولد الشاعر حسب الله مهدي فضله في بيئة علمية ونشأ وترعرع في بيت من بيوت الدين والعلم، مما أدي كل ذلك إلي تنشئته تنشئةً إسلامية عربية محافظة يلاحظها القارئ واضحة في معظم مسيرته العلمية والأدبية .ومن ذلك قوله:

إنني زهرة بهديك فاحـــت ينعش النفس نفحها المعطـــــاء
إنني بلبل بروضك يشـــدو من ترانيمه الدعا والثنـــــــاء
قد سبتني آفاق عالمك الزا كي فحلّقت حيث يبدو البهـــــاء[1]

أما نسبه فهو حسب الله بن مهدي بن فضلة بن يوسف بن جبرين بن حسب الله بن امحمد[2] والذي يمتد نسبه إلي أولاد مالك وهم عرب تفرعت بطونهم وعشائرهم عن الحيماد بن جنيد ، وله من الإخوة (ثلاثة) محمد الأمين ، وعبد الله ، ومحمد العابد ، أما عن وضعه الاجتماعي فهو متزوج وأب لابن وثلاث بنات.

تعليمه: أول ما بدأ تعليمه كان ذلك في الكتاتيب المعروفة هنالك باسم (المسيك) حيث تعلم فيها قراءة القران الكريم والأحاديث النبوية الشريفة، بالإضافة إلي دروس في اللغة العربية والتفسير والفقه على المذهب المالكي ، والسيرة النبوية والعقيدة على المذهب الأشعري، والمنطق وغير ذلك من مستلزمات الدراسة في الكتاتيب

---

[1] ديوان الشاعر، ص٧-٨

[2] فالعرب قد نطقت بذلك:امحمد بمعنى يا محمد، وجبرين وجبريل وجبرائيل،

والحلقات، شأنه في ذلك شأن كل الفتيان الناشئين في بيوت الدين والعلم ، والذين يرفض آباءهم إرسالهم في سن مبكرة إلي المدارس العلمانية التي لا تهتم بالدين واللغة العربية خشية الانحراف والضياع .[1]

وبعد أن قضي الشاعر فترة من الزمن يتردّد خلالها بين الكتاتيب وحلقة والده ، والتي لم يأخذ منها قسطه الوافر ، لأن عمره آنذاك لا يسمح له بالاستفادة التامة؛ أرسله بعد ذلك أخوه محمد الأمين فضله عام ١٩٨٣م بالذات إلي معهد أم سيوقو العلمي الإسلامي بغية الاستزادة من معين العلم والدين ، وذلك بعد أن سافر والده إلي ليبيا حيث أدركته المنية هناك .[2] فواصل الشاعر دراسته حتى نال الشهادة الابتدائية عام ١٩٨٧م والإعدادية عام ١٩٩٣م والثانوية عام ١٩٩٦م . ثم التحق إثر ذلك بمعهد إعداد معلمي المدارس الابتدائية المزدوج بأبشه وتخرج فيه عام ١٩٩٨م . ولم ينته طموحه عند هذا الحد فقط ، بل كان طموحة أكبر من ذلك بكثير، حيث التحق بكلية اللغة العربية في جامعة الملك فيصل بأنجمينا عام ٢٠٠٢م وقد أمتاز الشاعر خلال مراحله التعليمية بالفطنة والذكاء ، مما جعله يتفوق على كثير من أقرانه وزملائه ، كما أن نبوغه في الشعر كان مبكراً حيث قال أول قصيده له في عمر لا يتجاوز الثالثة عشر وهي في وصف لمعهد أم سيوقو العلمي الإسلامي الذي أنشأه الشيخ عليش محمد عووضة (رحمه الله) ، وكان مطلعها:

مسجد بوسط أبشة أشـــيد بنـــــــاه عليش لله المجيد[3]

---

[1] مقابله شخصية مع الشاعر حسب الله مهدي فضله ،بتاريخ ٢٠٠٧/١١/٢٩م الساعة ١١:٤٠ دقيقة لمعهد الخرطوم الدولي للغة العربية.
[2] مقابله شخصية مع الشاعر حسب الله مهدي فضله ،بتاريخ ٢٠٠٧/١١/٢٩م الساعة ١١:٤٠ دقيقة لمعهد الخرطوم الدولي للغة العربية.
[3] مقابله شخصية مع الشاعر حسب الله مهدي فضله أجريت بمعهد الخرطوم الدولي للغة العربية بتاريخ ٢٠٠٧/١١/٢٩م الساعة ١١:٤٠ دقيقة .

أخلاقه:

تميّز الشاعر حسب الله مهدي فضله بأخلاق فاضلة ومعاملة طيبة مما جعل الكثير من زملائه يثنون عليه نثراً وشعراً ومن ذلك قول زميله: حمزة أحمداي، "وإذ يتناول الباحث أخلاق الشاعر حسب الله مهدي فإنه يتناولها من خلال معايشته للشاعر واحتكاكه به منذ زمن بعيد في معهد أم سيوقو وفي اتحاد شباب تشاد الإسلامي وفترة وجوده في مدينة أبشه وانجمينا وفي جامعة الملك فيصل.

فهو لين الجانب طيب الخلق شديد التمسك بمبادئ الإسلام حيث كبر وكبر معه شعوره كذلك ،ولا أزكي على الله أحداُ، وقصائده المبثوثة في الديوان تدل على عقيدة راسخة سليمة وتتبني على إيمان صحيح وعقيدة راسخة تنهض على أساس الفهم السليم للإسلام في ينبوعه الصافي وجوهره الأصيل، سمح النفس لا يواجه أحداً بمكروه مع الصدع في الحق وقوة النفس فيه، فاشياً السلام واسع الصدر ثابت الجنان ترى منه البشاشة عند لقائه مع ابتسامة لا تفارق محياه أبدا.

وقال في وصفه الخلقي: "إن صفات الإنسان من الناحية الخلقية لها أثر كبير في مكانة بين أفراد مجتمعه وقد منح الله تعالى شاعرنا من تلك منزلة مرموقة في قلوب الناس فكانوا يحبونه ويجلونه لتلك الصفات النبيلة".

وقال فيه أستاذه حامد هارون " نشأ حسب الله مهدي منذ طفولته في بيئة دينية فتجمل بمحامد الأخلاق وأشرفها وكان طفلاً ذكياً منقادا سموعا لقول والديه مطيعاً لهما خدوماً لأسرته يحترم كبيرها ويعطف على صغيرها صبوراً في مواجهة شدائد الحياة أجبر نقسه على الأخذ بأسباب العلم فطوى المراحل التعليمية طياً حتى وصل مرحلة الماجستير في وقت مبكر من سنه.

والتحق بركب الأئمة فصار إماماً للجمعة في مسجد (الدقيل أنقبو) كان سمحاً في معاملاته مع الآخرين لم يعبس في وجه أحد لذلك كان صديقاً للجميع ما حل حسب الله مجتمعاً إلا قدم، وما دخل في عمل إلا أُمر عليه لأنه كان سخيا يحب الخير لأمة محمد – صلى الله عليه وسلم- نصوحاً لها يأتي بالأفكار النيرة الهادفة فكان رئيسا

لجمعية البدو الرحل من أجل التطوير والتنمية بل كان عضواً مؤسساً كما كان صاحب فكرة الاحتفال بمرور ستِّين عاماً على تأسيس معهد أم سيوقو، وكان عضوا مؤسسا لجماعة الديوانية وهي جلسة أسبوعية تناقش فيها الأفكار البناءة وكان أيضا رئيسا للهيئة الوطنية لفض النزعات وكان لا يظلم أحداً حقه عطوفاً كان حسب الله مهدي شاعرا لكنه لم يهج أحداً وذلك من خلقه وبذلك حاز رضا الجميع ولم يكن له أعداء وما أعلمه من ظاهر ليس بأفضل من سريرته فهو الطفل المهذب الذي لم يكن وراءه عصا للتهذيب ،وقدوة أراد الله أن يكون قدوة فأدبه وألهمه الله الصواب والله على ما أقول شهيد وأحسبه كذلك ولا أزكي على الله أحداً"، قال الله تعالى في محكم تنزيله: ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ وَلَا يُظۡلَمُونَ فَتِيلاً ﴾ [1]

المبحث الثالث : ثقافته وتأثره :

أما الثقافة فقد عرفها المجتمع التشادي منذ زمن مبكر ، يمتد إلي عهد الممالك حيث كانت له ثقافة وحضارة إسلامية تشبه في كثير من جوانبها ما كان سائداً في البلاد الإسلامية المشرقية والمغربية ، وقد تضلع العلماء في فنون المعرفة السائدة في ذلك الحين . وعرفوا نظام الإجازات ومنحوها لتلاميذهم ، ولكن ما برحت أن قضت عليها الإدارة الفرنسية عقب الاحتلال الفرنسي لتشاد ، حيث ركزت الإدارة الفرنسية جهودها علي محاربة العلماء وقتلهم وتشريدهم – ومنعت دخول الكتب العربية في البلاد ، وذلك لإفساح المجال أمام الثقافة الفرنسية والحضارة الأوربية، وقد أدى هذا الموقف إلى نفور المسلمين وابتعادهم عن دراسة اللغة الفرنسية لفترة طويلة وعلى العكس من ذلك انصب اهتمام سكان المناطق الجنوبية علي الدخول في الإرساليات والمدارس التي أنشئت . فقد قام الجنود التشاديون الذين سرحوا أو أحيلوا إلي التقاعد بعد الحرب العالمية الأولي والثانية بدور كبير في تشجيع ذويهم للالتحاق بمدارس

[1] سورة النساء الآية :٤٩

اللغة الفرنسية . مما أدي إلي قيام (البيروقراطية) وظهور نوع من الوعي الثقافي والسياسي الموالي للإدارة الاستعمارية.[1]

لذلك يعد المثقفون فئة جديدة في المجتمع التشادي ، لم يكن لها جذور وتراث قديم ، فقد تألفت بعد سنوات من الاحتلال الفرنسي وإنشائه لمدارس اللغة الفرنسية من العام الدراسي ١٩١٧م – ١٩١٨م . وبالرغم من أن التعليم باللغة الفرنسية ظل مدعوماً في كل جوانبه من الحكومات المتعاقبة إلا أن التعليم باللغة العربية هو هم معظم الشعب التشادي ، حفاظا منه علي ثقافته الأصلية . فأنشئت المدارس الأهلية العربية وحلقات القران الكريم التي أتت ثمارها فيما بعد من فقهاء ومدرسين وشعراء باللغة العربية مما ضمن وجود تيار ثقافي أخر يجاري تيار الثقافة الفرنسية ، ذلك التيار الذي ازداد اهتمام الحكومات به مؤخراَ.لاسيما بعد الاستقلال (١٩٦٠م) اعتبارا منها له كعامل فعال في إرساء دعائم الوحدة الوطنية.

ولثقافة الشاعر أثر كبير، ودور هام في الارتقاء بإنتاجه العلمي والأدبي كما أن لإنتاجه علاقة مباشرة بثقافته، ويلاحظ ذلك من خلال حسن أدائه وجودة حسه، وجلال معانيه وجمال صوره وأساليبه. وفي ذلك يقول الجاحظ:"ويذكرون الكلام الموزون ويمدحون به ويفضلون إصابة المقادير ويذمون الخروج من التبويل، قال جعفر بن سليمان ليس يطيب الطعام بكثرة الإنفاق وجود التوابل ، وإنما الشأن في إصابة القدر.

وقال الشاعر وهو عارف بن أثال الطائي :

ما إن يزال ببغداد يزاحـــــــــمنا على البراذين أشـــــباه البراذين

أعطاهم الله أموالاً ومـــــــــنزلة من الملوك بلا عـــــقل ولا دين

[1] الماحي ،عبد الرحمن عمر . المجتمع التشادي في عهد الاحتلال الفرنسي (١٩١٨ م– ١٩٦٠هـ) ، ص ٥٥

ما شئت من بغلة شقراء ناجــية أو من أثاث وقول غير مـــــــوزون

(فهو يري في ذلك فرقاً كبيراً بين شاعر مثقف يحسن أداء شعره ويضع كل شي في موضعه، ومن هو مدع لذلك متباهٍ بنسبه أو بماله أو بمنزلته دون أن يجيد شيئاً من أساليب الشعر وفنونه) [1].

حظي الشاعر حسب الله مهدي فضله منذ نشأته بأسباب ووسائل أتاحت له أخذ قسط كبير من المعرفة ، وذلك لأنه نشأ في بيت من بيوت العلم ثم التحق بأكبر مؤسسة تعليمية تهتم بتعليم اللغة العربية والعلوم الإسلامية المختلفة (معهد أم سيوقو العلمي الإسلامي)إضافة إلي اطلاعه والواسع وفضوله المستمر طلباً للعلم وبحثاً عن كل جديد في الأدب والثقافة . ولذلك تجده سباقاً في ميادين الأدب . والبحث العلمي. آخذاً كل مرة بسبل الاطلاع والاستزادة لتحقيق ما يصبو إليه. ويقول في ذلك : إن أول محاولة لي كانت في القصة القصيرة من خلال اطلاعي علي كتب الأدب المختلفة ، لاسيما كتب (سلسلة المشوق) التي يأتي بها إخوتي الكبار من مكتبه نادي الشباب ، وكان أول اهتمامي بالبن وتطوره ليصبح قهوة ، وصادف ذلك أن طالبتنا المدرسة بإعداد تمارين في نفس الغرض ، فكتبت قصة (فنجان شاي) حيث استقبلتني به أختي الصغيرة يعد عودتي من المدرسة مباشرة وكان لاستقبالها هذا أثر كبير في نفسي لا سيما وأنه جاء متزامناً مع ما يحول في خاطري من إعداد تمرين له علاقة بالبن فحولت القصة من البن إلي فنجان شاي . وحينما رأى أخي محمد الأمين تلك القصة بعد غيابي علق عليها بقوله : " قصة جميلة أيها الأديب الصغير " فشجعتني هذه العبارة أكثر على الاستمرار . بعدها جربت الشعر على المنوال نفسه ، وأول قصيدة كتبتها كانت في وصف معهد أم سيوقو العلمي الإسلامي وكان مطلعها :

---

[1] الجاحظ ،عمرو بن بحر،البيان والتبيين ،، ج ١ تحقيق فوزي عطوي ،بيروت لبنان ، الشركة اللبنانية للكتاب ص : ١٢٧

مسجد بوسط أبشة أُشيد بناه عليش لله المـــــجيد

ذاك البناء الشامخ عالياً إن قلبي له محب مـــريد

فعرضتها على الإخوة في البيت حيث لاقت ترحيبا كبيرا ثم عرضتها بعد ذلك علي الأساتذة المصريين التابعين للبعثة الأزهرية ، فرحبوا بها وشجعوني على الاستمرار لما رأوا فيها من وحدة العضوية ، وحينها لم أكن أعرف شيئا عن معني الوحدة العضوية ، ثم تكررت محاولاتي في مجال القصة والشعر والمقال . أما من ناحية الأوزان أو الموسيقي فكنت لا أعرف عنها شيئاً غير تلك الإيقاعات التي يرددها المادحون أيام المولد في بيتنا إلى أن قدر الله لي السفر إلي مدينة (نيالا) وفي بيت الشيخ القوني السنوسي ضو البيت وجدت أنواعاً كثيرة من الألحان والأنغام التي تلقى في ليالي المولد النبوي كان لها أثر كبير في تكوين الإيقاع الموسيقي في إنتاجي اللاحق وذلك مثل إيقاع البحر البسيط والطويل الذي يردده الناس من ديوان الشيخ إبراهيم الكولخي وغير ذلك . وفي عام ١٩٨٨م وقع نظري لأول مرة على كتاب لا أذكر اسمه نظمت فيه البحور الخليلية الستة عشر ، فعرفت أن هناك بحوراً مختلفة وإن كنت لا أميز بين تامها من مجزءوها ومشطورها من منهوكها أو علتها من زخارفها . واستمر بي الحال هكذا حتى دخلت الجامعة سنة ١٩٩٨م حيث التقيت بعدد كبير من العلماء والأدباء والنقاد وتزودت كثيراً بما وجدته في مكتبات العاصمة وبخاصة مكتبة جامعة الملك فيصل الكبيرة . توسعت آفاقي من خلالها وعدلت عن بعض منها نسبه لما عرفته من تصحيح للمفاهيم .[1]

[1] مقابلة مع الشاعر بتاريخ: ٢٠٠٧/١١/٣٠م بتمام الساعة السادسة مساء. المكان: معهد الخرطوم الدولي للغة العربية.

يستخلص من ذلك أن الشاعر قد مر بأربع مراحل ساعدت على تنشيط مسيرته الأدبية وأسهمت على حصيلته العلمية والأدبية إسهاماً كبيراً . ويلمس ذلك واضحاً في جميع قصائده لاسيما التي أوردها في ديوانه (نبضات أمتي) .

فأولي تلك المراحل هي : مرحلة التلقي في البيت ، وفيها درس أجزاء كثيرة من القران الكريم كما تلقي خلالها الكثير من التوجيه والعناية وهو ما يزال في حضن أسرته ، ويري الشاعر في هذه المرحلة أن دور والده كان ضئيلاً وذلك رغم غزارة علمه ، لأنه قد فارق والده وهو لم يتجاوز السابعة من عمره ، وهو عمر بداية الدراسة النظامية . بل وإنما كان الدور الأكبر لجده فضله الذي لازمه زمنا طويلا أفاد فيه واستفاد ، حيث كان يرافق جده الضرير ويعينه علي قضاء كثير منة حاجاته، في حين أن جده كان عالماً وحافظا لكتاب الله فأفاد هو الآخر بذلك العلم والتوجيه لاسيما في حفظ تلك الأجزاء التي تيسرت له أثناء تلك الفترة ويرجع الفضل كذلك لأخويه محمد الأمين ومحمد العابد الذين أخذا بيده وساعداه علي تذليل كثير من الصعاب .

أما المرحلة الثانية وهي : مرحلة دخول المدرسة (معهد أم سيوقو العلمي الإسلامي) وفيها التقى بعدد كبير من التلاميذ وتنوعت لديه المواد الدراسية كما تتلمذ علي أيدي أساتذة كثر تأثر بهم ، وأكثر ما كان تأثيره بأستاذه يونس محمود ، والنور أبكر ، وسنوسي محمد أحمد ، والشيخ أحمد أبو الرمان ، وجدّه عبد العزيز ، والشيخ عبد الله اسحق مهاجر . وآخرون كثيرون كان يردد أسماءهم كلما طاب له الحديث في فضل العلم والعلماء وتعتبر المعاهد العربية الإسلامي في مدينة أبشة مبعث عز وافتخار لدي المواطنين ، لأنها من صنع أيديهم وأنها تهتم بالجانب الديني لدي الدارس فيها بالإضافة إلي جوانب العلم الإسلامي الذي أسسه الشيخ عيش عووضة

(رحمة الله) فهو معهد التحدي الذي واجه به المسلمون طموحات المستعمر الدينية والثقافية . ويقول الدكتور عمر الماحي في هذا الصدد :(أما الحلقات التي نعقد في المساجد وبيوت العلم فتدرس فيها العلوم الدينية وأهمها : (الفقه ، والتوحيد ، والحديث، واللغة العربية ، وتفسير القرآن الكريم) ويقبل المسلمون علي هذه المدارس بحماس وانشراح ، ولكن يقل إقبالهم علي المدارس الحكومية التي تدرس فيها اللغة الفرنسية خوفاً من تنصير أبنائهم . وعندما فرض الفرنسيون علي الأمراء والسلاطين ورؤساء القبائل إرسال أبنائهم إلي هذه المدارس ليضمنوا جيلاً من الحكام المتعلمين ، كان بعضهم يدفع بعبيده وخدمه إلي هذه المدارس علي أنهم أبناءه . وبالإضافة إلي خلوات القران الكريم والحلقات التي تعقد في المساجد والبيوت . كانت توجد بعض المعاهد والمدارس الدينية وأهمها المعهد العلمي بأبشة وقد تم إنشاؤه عام ١٩٤٦م . ومعهد التربية الإسلامية (١٩٥٤م) ومعهد النهضة العربية (١٩٥٨م) وهذه أنشئت بمدينة فورت لامي ، العاصمة .

وقد بدأ تأثير خريجي الجامع الأزهر أوجه فيما بين عامي ١٩٤٦م و ١٩٥٦م بظهور الشيخ محمد عليش عووضة ومحمد الطيب الطاهر والشيخ إسماعيل ومحمد صالح علي . فقد عاد الشيخ محمد عليش من مصر إلي تشاد بعد إتمام دراسته الجامعية في الأزهر الشريف فأسس في مدينة أبشة معهداً علمياً عام ١٩٤٤م ، وأدخل إدارته ومناهجه الدراسية تحت إشراف جامع الأزهر ، فتطور هذا المعهد بسرعة أذهلت السلطات الفرنسية، حيث بلغ عدد تلاميذه في فترة وجيزة أكثر من ٣٥٠ تلميذاً . فأعاقت الإدارة الفرنسية تقدمه محاربة منها للغة العربية والثقافة الإسلامية في البلاد، فحاكت حوله المؤتمرات ، ثم أمرت بإغلاقه في عام ١٩٥٣م ، ونفت مؤسسه إلي السودان. وفي ذلك يقول حسب الله متأثراً بما حصل للشيخ عليش :

فاغتاظ مستعمرو الأوطان والتهبـــت أحقادهم فلها في الجوف إشعـــال
حاكوا الدسائس حول الشيخ فانتشرت منهم عليـــه كلاليب وأحبـــال
لكن مضى الشيخ سيفا دونه سقطـت نبل الضلال وفلّت عنه أنصـــال
واستمسك الناس بالقرآن واعتصـموا رغم العدى وتلاشى القيل والقال[1]

والجدير بالذكر أن الفترة الواقعة ما بين عام ١٩٤٦م إلي عام ١٩٥٤م لم تكن فترة انقطاع أو جمود لذلك النشاط الثقافي الذي قام بتأسيسه الشيخ عليش ، كما أنها لم تكن أيضا فترة انتقال لتلك الجهود والكفاءات إلي (فورت لامي) العاصمة ، بل وإنما كانت فترة تواصل واستمرار لما بدأه الشيخ عليش مع زملائه وتلاميذه في مدينة أبشة أولاً ثم اتسعت بعد ذلك دائرة ذلك النشاط فشمل مناطق أخرى من ضمنها العاصمة (فورت لامي) آنذاك .

أما المرحلة الثالثة : فتتمثل في مرحلة حبه للاطلاع والتردد على المكتبات وفيها كان الشاعر حسب الله مهدي فضله ، شديد الشغف بالاطلاع مولعاً بالتعرف علي كل جديد من بطولات القادة ورواد العلم والأدب والدين الإسلامي الحنيف وأفكارهم وطرائفهم. فاطلع علي جل الكتب الموجودة في مكتبه (إتحاد شباب تشاد الإسلامي).[2] وأخذ منها الكثير، كما كان يرتاد مكتبة (نادي الشباب) وهي مكتبة تابعة للكنيسة الكاثوليكية. تضم في رفوفها عدداً كبيراً من الكتب العربية والفرنسية ذات الطابع الثقافي العام . فأخذ منها هي الأخري حظه الأوفر من المعرفة وهو يقول في ذلك : (كنت أطلب من أخي محمد الأمين أن يأتي لي بثلاثة كتب أقرأها كلها خلال أسبوع واحد كي يتسني لي استعارة ثلاثة كتب أخرى ، وكانت المسئولة آنذاك لا تسمح للمستعير أن يأخذ أكثر من كتاب ، فكنت أستغل فرصة أخوي للحصول علي الكتابين

[1] فضله،حسب الله مهدي فضله،نبضات أمني(ديوان شعر) انجمينا تشاد،تاطبعة الأولى:٢٠٠٦م ص٨٢
[2] إتحاد مصرح يخدم في قضايا الشباب المسلم ، وكان الشاعر عضوا فيه .

الآخرين).[1] وكان لحسن حظه أن أول ما بدأ به اطلاعه هي سلسلة كتب (المشوق) الأدبية الضخمة التي تتضمن اغلب احتياجات الطالب اللغوية والأدبية ، ثم واصل رحلته التثقيفية مسجلاً كلما يحصل عليه في رفوف المكتبات أو من الدروس التي يتلقاها في الفصول الدراسية أو عبر الإذاعات واللقاءات العلمية ، وكان لكل ذلك أثر كبير في *ثقافته* العامة وكذلك في نتاجه الأدبي .

أما المرحلة الرابعة : فهي مرحلة النضج والإنتاج المحكم، وتبدأ هذه المرحلة مع بداية مراحله الجامعية ، حيث كانت بداية جديدة لرسم طريق واضح لمسيرته العلمية والأدبية، وفيها تمت المراجعة الدقيقة لكل ما ورد في المراحل السابقة فاسقط فيها ما أسقط ؛ وثبت فيها ما ثبت ، لذلك خصص لديوانه (نبضات أمتي) القصائد ذات الطابع الديني والاجتماعي والوطني، والإنساني[2]، دون غيرها من القصائد الأخرى كالنسيب مثلاً في قصيدته التي لم يرد ذكرها في ديوانه والتي يقول فيها:

الليل جاء فأين النوم قد ذهبـــا بل أين قلبي الذي من أضلعي هربا
إني أحسّ فراغاً في محلتـــــه لعله عند ما سافرت مـــــــا ركبا
أقام عند التي أضحت مليكتـــه فكل أمر لها تنفيـــذه وجبـــــا
كأنه صوت أمريكا إذا اقترعوا في مجلس الأمن لم يعصوا له طلبا
ما فوهة المدفع المرهوب جانبه إذا استشاط رمى النيران واللهبـــا
ينهار كل شجاع حين ينظـــره وينثني الفارس المقدام مضطـــربا
أمضي وأنظر من لظٍ لها نظرت إليَّ فَأَرْخى العَضْلَ والعصـــــــبا[3]

هكذا سنة الحياة ، فغالباً ما يبدأ الإنسان بوضع برامج ورؤى يطمح جاهداً لتحقيقها ؛ ولكنه فجأة ما يكتشف علة تحول دون تحقيق برنامج من برامجه ، أو سبباً يمنعه من

[1] الاتجاهات الشعرية في شعر حسب الله مهدي فضله ،مرجع سابق ص٣٥-٣٧
[2] الاتجاهات الشعرية في شعر حسب الله مهدي فضله ،مرجع سابق ص٣٥-٣٧
[3] لظ: أصلها لظى حذف منها الألف

بلوغ غاية يتطلع إليها، أو خطأً يكتشفه في سيره فيعزف عنه نتيجة لذلك، أو لنضجٍ فيه ينقلاه إلي طموح آخر غير الذي بدأ في تحقيقه .

المؤثرات في شعره:هناك مؤثرات كثيرة أدت إلى نبوغ حسب الله،بعضها مباشر والآخر غير مباشر وأهمها هي:

١-أسرته وبيئته ومجتمعه من حوله وما يسوده من تيارات كحب الدين والجهاد وحب العلماء والقيم والحفاظ عليها ،(والمسيك)أي:الكتاتيب، والمدائح النبوية والحلقات ومطارحات يوم الخميس وحديث السمر مع الجدات.

٢-المدرسة ((معهد أم سيوقو)) وما يحمله من رسالة الصحوة الفكرية والخلقية والدينية

٣-المكتبات:وبخاصة مكتبة نادي الشباب ومكتبه اتحاد شباب تشاد الإسلامي

٤-مشايخه ومعلوه وغيرهم ممن تأثر بهم.

لكل ذلك أثره في شعر حسب الله إلا أن الباحث سيركز على العلماء والمثقفين لما لهم من أثر بالغ في شعره، ولأن المؤثرات الأخرى قد تمّ ذكرها في المباحث السابقة.

تأثره بالعلماء والمثقفين:

تأثر حسب الله كثيراً بعددٍ من العلماء والأدباء الذين عايشهم أو قرأ لهم. وكان ممن تأثر به ودرس على يديه:

١. الشيخ السنوسي ضوّ البيت المقيم بمدينة نيالا – السودان- الذي كان يزوره الشاعر ويقيم عنده في بعض الأحيان وقتاً طويلا يتدارس عنده القرآن، وكان محباً له ومقتدياً بمذهبه وطريقته وخلقه مما جعله ينشد فيه هذه الأبيات:

أتينا وبالأكباد لهفة عاشق وحرقة ظمآن ورهبة من جنى
نحنّ لمرأى الشيخ عند مجالس تسامت فلم تلحق سناءً ولا سنا
مجالس علمٍ ليس فيها دعـــاية لدنيا ولا فيها مجـــــــال لذي خنا

إلى أن قال:

فيا طالب الإيمان دونك فاغترف ويا طالب العرفان حسبـــك هاهنا

وزد فيه حباً يا أُخيّ فإنمـــــا محبته كنز لأخـــــــراك يقتنى[1]

(٢)الشيخ القوني[2] صالح جامع الذي تتلمذ الشاعر على يديه زمناً وتأثر به وبأخلاقه فظهر في شعره ومن ذلك قوله من قصيدته: (دمعه وفاء) التي رثاه فيها حين قال:

لُطمنا عند موتك لا عناداً ولكن صيحة الناعي تشيب

ذهبتَ إلى العلاج وما علمنا بأنك من ذهابك لا تؤوب

ذهبت إلى العلاج فكان قبراً وإن حكم القضا عجز الطبيب

بكتك مساجد وبكتك دور وصاح عليك شبان وشيب

لأجلك عمّ أبشى[3] حـــــــداد وفي الجنات أفراح وطيب[4]

إلى أن قال:

فهيا نقتدي بمسيـــــر شيـــخ له إذ نـــام أقـــوام وثـــوب

(٣) الشيخ والشاعر: عباس محمد عبد الواحد :

الذي كان تأثُّر حسب الله مهدي فضلة به أوضح و أبلغ وذلك بالرغم من أن العلاقة بينها لم تكن مباشرة أي: لم يتتلمذ اللاحق على السابق، ولكن الأخير قد سار على منواله وتشبث بمذهبه في شعره مما جعل الدكتور عبدالله حمدنا الله يجعلهما في تيار واحد. ومن اطلع على قصيدة حسب الله (شاري الحزين) عرف ذلك لما في القصيدة من معاني تدل على تأثر صاحبها بالشاعر الراحل تأثراً فاق كل التأثرات السابقة، فهو حين قال على لسان نهر شاري:

---

[1] ديوان الشاعر: ص: ١٠٥-١٠٧.

[2] القوني: صفة تطلق محليا على حافظ كتاب الله المأذون له بتدريسه

[3] أبشة:مدينة تقع شرق البلاد، أصلها عربي،أي: مدينة أبوبشة ، تحولت إثر الإدغام في النطق إلى أبّشة، مثلها أبّكر في أبوبكر،أما أبشى فإنها منقولة من الفرنسية Abéché . و أبوبشة هو اسم للراعي الذي دلّ مكتشفي مملكة ودّاي على هذا المكان الغني بالمياه، بعد عزمهم على نقل العاصمة من (واوا) التي أصيبت بالقحط

[4] ديوان الشاعر: ص: ١٠٩.

نادى ليهمس في أذني لواعجه لكن تفجر منه الحزن بركانا
قال: ادن مني فهل يصغى إليّ سوى من هيض مثلى أو عانيت ماعانا
قد مات صنوي في فيض وفي دأب ومن كللت فلم ألحقه إحسانا
إن أَرْوِ أرضاً فكم أروى العقول وكم من علمه نهل الأجيال إيمانا
وإن كسوت الربى نبناً فكم نسجَتْ أشعاره للورى روحاً وريحانا[1]

إلى أن ازداد حبه له فقال:

لا تَرْمِيَنِّي بنسيان الحبيب إذا جازته دولتكم جُحداً ونسيانا
ولا تَخَلْني أمحو ما بناه إذا ما رام بعضٌ له محواً وذوبانا
هل ذنبـــه أنـــه وافٍ لأمتـــــه إذ شـــاد للضاد والإسلام بنيـــانا

(٤)الشيخ محمد عليش عووضة:

الذي لم يتتلمذ الشاعر على يديه ولم يره إلا أنه تأثر به عبر كتبه وتاريخه الزكي ومعهد الذي درس فيه ، وكان تأثره به لا يقل درجة عن تأثره بعباس محمد عبد الواحد حيث قال فيه:

فاهنأ أيا معهد الإيمان واحك لنا أمجاد عهد به التاريخ يختال
ردِّد لنا الصيحة العظمى التي انطلقت من[2] رائد ماله في الناس أمثـــال

وقال في قوة عزيمة الشيخ في بناء وطنه:

فلأنشر العلم إن العلم إن سطعت أنواره عزت الأوطـــــــــان والآل
ولأمض في همة لا القيد يحبسها ولا المناصب تغريـــــها ولا المال[3]

---

[1] ديوان الشاعر: ص: ١١٤
[2] يعني به الشيخ محمد عليش
[3] ديوان الشاعر: ص: ٨١

المبحث الرابع : مكانته بين معاصريه وأعماله الأدبية والفكرية

مكانة حسب الله بين معاصريه:

يحتل حسب الله مهدي فضلة المرتبة الثانية من شعراء الاتجاه المحافظ الذي ترأسه الأستاذ الشاعر الراحل عباس محمد عبد الواحد "وهذا الاتجاه هو الذي يصوغ الشعر وفقا لطريقة البارودي ومن جاء بعده، ويصف المجتمع مع تمسكه بالأصول الشعرية العربية تمسكاً صارماً لا يحيد عنه ويأتي على رأس هذا الاتجاه الشاعر الراحل عباس محمد عبد الواحد صاحب ديوان الملامح و يأتي بعده شعراء شباب ساروا على هذه الطريق أمثال عمر محمد القال، و حسب الله مهدي فضلة وغيرهما"[1].

أما الخصائص الفنية المميزة لهذا الاتجاه فهي:

١. الالتزام بالوزن والقافية كما في قوله من قصيدته (كف يا دمع)

كفَّ يا دمع أنـــت أول دائي أنت عنوان محنتـــــي وشقائي
أنت جرأت كل نذل على ظلمي وسلبي وغيلتـــــي واجترائي[2]

التي هي من بحر الخفيف صحيح العروض والضرب.

أو كقوله في قصيدته"وقفة على آثار واوا":

غُضُّــوا العيون فهذا موطن الأدب هذا الجلال الذي لم يطو بالحقـــــب
هذا الشموخ الذي لم يحن هامته عصف الأعاصير في خصب وفي جدب[3]

التي من بحر البسيط ،و قد التزم الشاعر في كلا البحر ين بقوانين العروض والقافية

٢. صحة العبارة وفصاحة اللفظ

بحيث التزم الشاعر في كل قصيدة من قصائده بل في كل بيت بذلك المبدأ ، فحافظ على سلامة اللفظ والعبارة كما حافظ على سلامة الوزن والقافية ومن أمثلة ذلك استعماله للمشتقات استعمالاً صحيحاً مثل " سيّال، أزجال، يختال، سلسال، أوصال،

---

[1] محاضرات للأستاذ عبدا لله حمدنا الله بجامعة الملك فيصل، مخطوط باليد ،أنجمينا تشاد،٢٠٠٠م
[2] ديوان الشاعر، ص:٨٥
[3] ديوان الشاعر، ص:٤١

إقبال، رئبال، إفضال" من قصيدته (صفحة من الكفاح والصمود) أو في قصيدته (شاري الحزين) خلانا نيرانا شبانا غليانا أشجانا إحسانا إيمانا ذوبانا طغيانا غفرانا، أو استعماله لواو ورب الذي هو من سمات الشعراء الفحول حيث قال في قصيدته: (إلى شباب تشاد):

وأجدادٍ لنا كرهوا القيودا ولم يقعوا لمخلوق سجودا

أي: ربّ أجدادٍ، كما في قوله (امرئ القيس).

وليلٍ كموج البحر أرخى سدوله عليّ بأنواع الهموم ليبتلى

٣. البناء الفني الذي يقوم على وحدة البيت لا على وحدة القصيدة شأنه في ذلك شـــأن الشعر العربي القديم ومن ذلك قوله في قصيدته (العربية لغتنا):

تشاد بشراك إن الشمل ملتئم أبناؤك اجتمعوا والود ضمهم
صاحوا بأجمعهم لا للحروب ولا للظلم إنا بحبل الله نعتصم
بلادنا أُوهِنَتْ بالحرب إذ تُركت تعيث فيها عقوداً بالردى الوغم[1]
دكت معالمنا هـــــــدت ثقافتنا صرنا حـــــديثا وقيلت حولنا التهم

حيث إن كل بيت يمثل وحدة قائمة بذاتها.

أعماله الأدبية والفكرية ومشاركاته: للشاعر أعمال كثيرة بعضها منشور والآخر ما يزال مخطوطاً وذلك على الصعيدين الأدبي والفكري، وقد نشر له ديوان يحمل اسم (نبضات أمتي) عام ٢٠٠٦م من قبل مركز الدراسات العربية والأفريقية للبحوث والإبداع بانجمينا – تشاد. لم يكن يحمل هذا الديوان كل أعمال الشاعر الأدبية؛ بل هناك قصائد لا تقل قدراً عما سواها لكنها لم يشملها الديوان : مثل قصيدته "هكذا الأمجاد تبنى" أو قصيدته الغزلية التي سبق ذكرها والتي مطلعها :

---

[1] الوغم: الترة، والمقصود بها هنا :الحقد الثابت في الصدور، استعمل الشاعر هنا المفرد الوَغَم مكان الجمع الوُغْم وهو الأفضل لأن الوزن يسير معه

الليل جاء فأين النوم قد ذهبا بل أين قلبي الذي من أضلعي هربا

ومن أعماله كذلك رسالته للماجستير في الأمثال العامية التشادية؛ مخطوط بالكمبيوتر يوجد في مكتبة معهد الخرطوم الدولي للغة العربية وله كذلك أبحاث كثيرة من مجالات شتى منها :

١- منطلقات تاريخية للتعليم القرآني في تشاد، بحث قدم في الندوة الأولى لتعليم القران الكريم في تشاد التي نظمتها الجمعية الخيرية للتنمية الثقافية والاجتماعية – تحت رعاية المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بجمهورية تشاد تحت عنوان (نحو وسيلة مثلى لتعليم القرآن الكريم في تشاد) في الفترة مابين ١٨ إلي ٢١/ شوال/ ١٤٢١هـ الموافق ١٣ يناير ٢٠٠١م .

٢- وله كذلك بحث تحت عنوان (من رواد الأدب التشادي) الشاعر عبد الله يونس المجيري– شاعر القطرين قدمه في الندوة العلمية الدولية التي أقامتها جامعة الملك فيصل بتشاد بالتعاون مع رابطة الأدب الإسلامي العالمية بالمملكة العربية السعودية ومركز رسائل النور بتركيا حول (عالمية الأدب الإسلامي) في الفترة ما بين ٢٨ رجب إلى ٢ شعبان ١٤٢٣هـ الموافق من ٥ إلى٨ أكتوبر ٢٠٠٢م بانجمينا، تشاد.

٣- وله كذلك الشيخ محمد عليش عووضة وأثره في نهضة التعليم والأدب العربي في تشاد، بحث مقدم إلى الندوة العلمية التي نظمت بعنوان (معهد أم سيوقو العلمي الإسلامي رائد التعليم العربي الإسلامي في تشاد) في الذكري ال ٦٠ لتأسيس المعهد برعاية وزارة التربية الوطنية – في الفترة ما بين ٢٦- ٢٧ فبراير ٢٠٠٥م بانجمينا.

٤- الشعر العربي في تشاد جسر للتواصل الإفريقي – العربي بحث قدم في مؤتمر التداخل والتواصل في أفريقيا ضمن فعاليات ملتقى الجامعات الإفريقية الذي نظمته جامعة إفريقيا العالمية في يناير ٢٠٠٦م .

٥- إسهامات الوقف الإسلامي في أسلمه الممالك التشادية القديمة وتواصلها مع العالم الإسلامي – (بحث قدم في المؤتمر الدولي حول الإسلام في إفريقيا) الذي نظمته جامعة إفريقيا العالمية في نوفمبر ٢٠٠٦م .

٦- مكانة القدس وفلسطين في وجدان الشعوب الأفريقية المسلمة "الشعر التشادي أنموذجا " (بحث قدم في الندوة السنوية السابعة عشر للجنة يوم القدس – منتدى بيت المقدس بعنوان (المخاطرة التي تواجه القدس في ظل التطورات السياسية الأخيرة والحلول الممكنة) في الفترة ما بين ٧-٩ سبتمبر ٢٠٠٦م بعمان – الأردن .

٧- مكانة الصحابة عند أهل السنة والجماعة (بحث فاز بالمركز الأول في مسابقة الدورة العلمية الصيفية التاسعة بجامع الحمودي التي نظمها المكتب التعاوني للدعوة والإرشاد في العزيزية بجدة – المملكة العربية السعودية ١٤٢٤هـ ٢٠٠٤م) .

٨- حقوق الإنسان في السنة النبوية وتفوقها علي التشريعات المعاصرة . منشور

٩- الأسرة المسلمة بين تعاليم الشرع وتحديات العصر (مخطوط) بالإضافة إلي أعماله وأبحاثه الأخرى التي لما تنشر بعد .

١٠- إمام وخطيب لمسجد الفتح الإسلامي بمركز الدبوس بانجمينا تشاد .

١١- فاز بجائزة الإسيسكو للأعمال الأدبية المتميزة للشباب المسلم عام ٢٠٠١م .

١٢- معد ومقدم لبرنامجي (قطوف من رياض الأدب التشادي) و (جسور المحبة) بإذاعة القران الكريم في تشاد .

١٣- عمل مشرفا تربويا لدى إدارة الأيتام بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية في الفترة من ١٩٩٨ إلى٢٠٠٤م .

١٤- كان رئيسا لقسم رعاية الأيتام بالجمعية الخيرية للتنمية الثقافية والاجتماعية في نفس الفترة بتشاد .

١٥- عمل مدرسا بالعديد من المدارس العربية في أبشة وأنجمينا منها: معهد أم سيوقو العلمي الإسلامي، وثانوية أبشة الأهلية المزدوجة، وثانوية ابن سينا بأنجمينا ، وثانوية الشيخ حمدان بن راشد آل مكتوم بأنجمينا .

١٦- عضو في العديد من الاتحادات ، والجمعيات والروابط الثقافية ، والاجتماعية منها: الهيئة التشادية لفضّ النزاعات رئيساً ، رابطة الأدب الإسلامي العالمية مكتب تشاد عضواً ، إتحاد الأئمة والدعاة بجمهورية تشاد .

١٧- عضو في الجبهة الوطنية الثورية التشادية التي انضمت الي الحكومة عام ٢٠٠٨م .

١٨- عضو مؤسس لحزب النصر عام ٢٠٠٩م .

أغراض شعره:

أورد الشاعر حسب الله في ديوانه (نبضات أمتي) إحدى وثلاثين قصيدة، ثلاثون منها عمودية؛ وواحدة من الشعر الحر ذو التفعيلة الواحدة. ويمكن تقسيمها من حيث الغرض إلى تسعة أقسام هي:

١- **إيمان ودعوة** ، ويشمل القصائد التالية:

- في آفاق القرآن - خواطر في الدعوة - خواطر في ذكرى غزوة بدر - بشائر الأمل - الحقيقة الخالدة - نفحات ولفحات.

٢- **الأمة الإسلامية والعالم** ، ويشمل القصائد التالية:

كف يا دمع - على ضفاف نهر النيجر- الجنود المرابطة تحت لواء الرابطة - ملحمة الشيشان - رثاء مجلس الأمن - الشهيد الحي للحق الحي - مكة الخير.

٣- **وطنيات**، ويشمل القصائد التالية:

إلى شباب تشاد – العربية لغتنا – صفحة من الكفاح والصمود – وقفة على آثار وارا – بشراك يا لغة القرآن.

٤- **اجتماعيات** ، ويشمل القصيد تين التاليتين:

كفالة اليتيم – أبكي مع السحاب.

٥- **مع العلماء** ، ويشمل القصائد التالية:

من أئمة الهدى – دمعة وفاء – شاري الحزين.

٧- **فيصليّات** ، ويشمل القصيد تين التاليتين:

في رياض العلم – فراق الرفاق.

٨-**عن الأسرة** ، ويشمل القصيد تين التاليتين:

حديث البدور – حنين.

٩-من قصص الحكمة، ويشمل قصيدة واحدة هي:

الضفدع المغرور.

الفصل الثاني:
التشبيه في شعر حسب الله مهدي فضله

المبحث الأول: التشبيه باعتبار طرفيه

المبحث الثاني: التشبيه باعتبار أداة التشبيه

المبحث الثالث: التشبيه باعتبار وجه الشبه

الفصل الثاني:
التشبيه في شعر حسب الله مهدي فضلة

مفهوم التشبيه:

التشبيه في اللغة هو: التمثيل، ففي لسان العرب "الشِّبْه والشَّبَه، التشبيه المثل وأشبه الشيءُ الشيءَ ماثله، وفي المثل من أشبه أباه فما ظلم، والتشبيه التمثيل"[١].

أما في اصطلاح البلاغيين فهو: الدلالة على مشاركة أمرٍ لأمرٍ في معنى ما من المعاني، بأداة ظاهرة أو مقدرة[٢]، ما لم تكن هذه المشاركة على وجه الاستعارة "[٣].

وأركانه أربعةٌ: المشبه، والمشبه به، ووجه الشبه، وأداة التشبيه.

وللتشبيه روعةٌ وجمالٌ وموقع حسن في البلاغة، وذلك لإخراجه الخفي إلى الجلي، وإدنائه البعيد من القريب، ويزيد المعاني رفعةً ووضوحاً، ويكسبها جمالاً وفضلاً، ويكسوها شرفاً ونبلاً، فهو فنٌّ واسع النطاق فسيح الخطو ممتد الحواشي متشعب الأطراف متوعر المسلك، غامض المدرك دقيق المجرى غزير الجدوى. ومن أساليب البيان: أنك إذا أردت إثبات صفة لموصوف مع التوضيح أو بين الاثنين مماثلة تجعلها وسيلة لتوضيح الصفة أو المبالغة في إثباتها؛ لهذا كان التشبيه أول طريقة تدل عليه الطبيعة لبيان المعنى[٤].

وسنتناول في هذا الفصل أقسام التشبيه في شعر حسب الله مهدي فضلة وفق منهج الدراسة الذي يبدأ بطرفي التشبيه ، ثم وجه الشبه ، ثم أداة التشبيه. مُرْفِقين بكل مبحث من هذه المباحث إحصائية توضح استعمال الشاعر لكل ركن من هذه الأركان كماً وكيفاً، حتى يتسنى لنا من خلال ذلك الخروج بنتائج جزئية خاصة بهذا الفصل.

---

[١] ابن منظور جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم، لسان العرب،(مادة شبه) دار صادر للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م، ج ٧

[٢] عبد الهادي العدل،دراسات تفصيلية شاملة لبلاغة عبد القاهر في التشبيه والتمثيل والتقديم والتأخير،القاهرة،دار الطباعة المحمدية،ط٢، ١٣٧٨ هـ١٩٥٨م،ص٢

[٣] الخطيب القزويني جلال الدين محمد بن عبد الرحمن،الإيضاح في علوم البلاغة،بيروت- لبنان،دار حياء العلوم،ط٢،١٤١٢هـ-١٩٩٣م،ص٢٠٧.

[٤] حسن إسماعيل عبدالرازق، البلاغة الصافية في المعاني والبيان والبديع، مصر – القاهرة، المكتبة الاثرية للتراث، ط١، ٢٠٠٦م، ص ٢٠

المبحث الأول : التشبيه باعتبار طرفيه

ينقسم التشبيه باعتبار طرفيه إلى ثلاثة أقسام رئيسية تدور حولها الدراسة هي:حسي، وعقلي ، ومختلف.

فالتشبيه الحسي هو كل تشبيه يمكن إدراك طرفيه(المشبه والمشبه به) بإحدى الحواس الخمس(السمع والبصر والشم والذوق واللمس).

أما العقلي فهو ما تعذر إدراك طرفيه بإحدى الحواس المذكورة ؛ بل وإنما يمكن إدراكه بالتفكير وإعمال العقل.

والمختلف هو ما كان أحد طرفيه حسياً والآخر عقلياً. " وفي ذلك يقو ل صاحب الإيضاح: " أما طرفاه فهما إما حسيان كما في تشبيه الخد بالورد، والقد بالرمح... وإما عقليان كما في تشبيه العلم بالحياة، وإما مختلفان والمعقول هو المشبه كما في تشبيه المنية بالسبع أو بالعكس كما في تشبيه العطر بخلق كريم "[1].

وهناك تقسيمات أخرى ذات صلة مباشرة بالطرفين لا تقل أهميةً عما سواها سيتعرض لها الباحث دراسةً وتحليلاً، وهي التي تشمل الإفراد والتعدد والتركيب ،والإطلاق والتقييد.

١/ خامات طرفي التشبيه:

(أ) تشبيه المحسوس بالمحسوس

التشبيه الحسي: هو كل تشبيه يمكن إدراكه هو أو مادته بإحدى الحواس الخمس (السمع والبصر والشم والذوق واللمس)

وسنتناول التشبيه في هذا المبحث مقدمين أكثر أنواعه وروداً في شعر حسب الله ثم الكثير ثم الذي يليه من حيث نسبة استخدامه.

أولاً: تشبيه المبصر بالمبصر

وهو النوع الذي يُشبه فيه الشاعر طرفاً بطرفٍ آخر يُدرك بحاسة البصر. وذلك كما في قوله في قصيدته "إنها نبضات أمتي":-

---

١ الخطيب القز ويني، الإيضاح في علوم البلاغة، بيروت،لبنان،دار إحياء العلوم،الطبعة الثانية،١٤١٢هـ ١٩٩٣م ،ص ٢٠٧

أمتي، ما لبّيت غير نـــــداءٍ خالدٍ ما لردّه من إطاقـــــــه

لستُ إلا الشعاع من نـــورك الزاهي، ينال انبثاقه وانطلاقه[1]

حيث شبه نفسه بالشعاع ووجه الشبه هو الوضوح في كلٍ منهما، وكلا الطرفين محسوس يدرك بحاسة البصر.

وقال في قصيدته "نفحات ولفحات":-

أعزةً وكتاب الله فـــــــي يدنا يكاد يحسبنا الأعدا سلاطينا[2]

حيث شبه المسلمين في تمسكهم بالكتاب بالسلاطين، ووجه الشبه هو الظهور والهيبة في كلٍ منهما. وذلك التشبيه مدرك بحاسة البصر.

وقال كذلك في قصيدته "وقفة على آثار وارا"[4]

والقصر بعد احتشادٍ صار منفـــرداً كرائدٍ هابط في كوكبٍ خرب[3]

أطلال وارا أجيبي خبّري مـــــلاً أخرسْتهم هيبةً عن كل محتجب

فقد شبه الشاعر قصر (وارا) المهجور برائد سفينة فضائيه ساقط في كوكب من الكواكب الخربة ووجه الشبه هو الانفراد والميلان في كلٍ منهما، وكلا الطرفين مدركين بحاسة البصر.

وقال في قصيدته "على ضفاف نهر النيجر":

تضاءل نهـــر نيجـــر إذ تمنـــــى ينافـــــــسه فخالفـــــــه المـــــراد

فهبه سقى التراب فهل سيسقـــــي عقولاً لـــــم يُطَوِّعهـــــــا انقيـــــاد

وهـــــل يبنى لأمتـــنا تراثـــــاً به (القالي) يخـــــــــــلَّد و(العماد)

مآثر كالنجوم لهـــا سطـــــــوع وليس لها إذا عُـــــــــــدَّت نفاد[4]

حيث شبه الجامعة الإسلامية بمدينة (ساي) بالنيجر وفروعها بالنجوم، ووجه الشبه هو الظهور والشهرة في كل منهما، وكلا الطرفين مدركان بحاسة البصر، وذلك بعد أن عَقَد الشاعر في الأبيات السابقة مقارنة بين عطاء النهر من ناحية، والإنجازات العلمية من ناحية أخرى.

---

[1] ديوان الشاعر ص١

[2] ديوان الشاعر ص٣٣

[3] ديوان الشاعر ص٨٦

[4] ديوان الشاعر ص٤٩

وقال في قصيدته "صفحة من الكفاح والصمود":

فسجل المجد والتاريخ ملـــــحمةً للحق تشهد أنّ الشيخ رئبـــــــال[1]

لم يحن هامته من زأرهم فبـــدا كالطود يعلو، وللإعصـــــار إعوال

بل صاح في ثقةٍ: الله يعصـــــمني ولْيحم ذا الصرح؛ فهو الفكر والبال

ففي البيت الأول والثاني تشبيه حسي عقده الشاعر بين مبصر ومبصر، حيث شبه الشيخ محمد عُليش عووضة[2] (بالرئبال) وهو الأسد الجرئ، ووجه الشبه هو الجرأة في كل منهما. كما عقد تشبيهاً آخر في البيت الثاني بين مشبه ومشبه به مدركان بحاسة البصر وهما (الشيخ) المشار إليه بالضمير (هامته) و (الطود) أي: الجبل، ووجه الشبه هو الظهور والشموخ في كلٍ منهما.

وقال في قصيدته "كفالة اليتيم":

هاهم رفاقي في الطريق تواثبوا في خفةٍ فكأنهم أطيـــــار

للعيد قد لبثوا الجديد وهـــلّلوا بثيابهم تتلألأ الأنـــــوار

في كفِّ كلٍ كعـــــكة أو لعبة يلهو بها، أو عنده مزمار[3]

فقد صور الشاعر اليتيم في البيت الأول الذي لا عائل له أمام رفاقه المبتهجين بفرصة العيد صورة حزينة. ثم شبه بعد ذلك رفاق اليتيم بالأطيار، ووجه الشبه الخفة والبهجة في كلٍ منهما، وكلا الطرفين مدركان بحاسة البصر.

ثانياً: تشبيه الملموس بالملموس.

وهو التشبيه الذي يمكن إدراك طرفيه بحاسة اللمس.

فقد استخدم الشاعر حسب الله هذا النوع في شعره بدرجةٍ تأتي بعد التشبيه المدرك بحاسة البصر مباشرة. ففي قوله من قصيدته "خواطر في ذكرى غزوة بدر":-

تباركت ربي شهر نصرك قد أتى وأمَّتنا كالطير بين يدي طفل

تقاذفها أيـــدي الطغـــاة كأنـــها كريّة منطادٍ تُداعب بالركل[3]

---

[1] الرئبال هو الأسد الشجاع الجريء

[2] الشيخ محمد عُليش عووضة مؤسس أول مدرسة نظامية عام ١٩٤٤م بأبشة (معهد أم سيوقو العلمي الإسلامي) نفاه المستعمر إلى السودان

[3] ديوان الشاعر ص٩٦-٩٧

[3] ديوان الشاعر ص٣٧

فقد شبه الأمة الإسلامية بالكرة الصغيرة في البيت الثاني ووجه الشبه هو الضعف في كلٍّ منهما. وهذا ما يدركه المرء بحاسة اللمس.

وقال في قصيدته "كفّ يادمع":

كفّ يا دمع، أنت أول دائـــــي أنت عنوان محنتي وشقائي

أنت جرّأت كل نذلٍ على ظلـــ مي وسلبي وغيلتي واجترائي[1]

فقد شبه الشاعر الدمع بالداء، ووجه الشبه هو التأذي في كلٍ منها وكلا الطرفان مدركان بحاسة اللمس.

وقال في قصيدته "رثاء مجلس الأمن":

والأرض قد رقصت لكن كثاكـــلة أحلامها وُئدت من غير تكفين

لحن السلام تلاشى في الدويّ لدى قصف الصواريخ أحشاء المساكين[2]

فالشاعر يصف فشل مجلس الأمن في إحلال الأمن في الأرض، وقد خيّب بذلك آمال الناس فيه. فالتشبيه قد عقد بين الأرض الراقصة والأم الثاكلة في البيت الأول، ووجه الشبه الحزن في كلٍ منهما، والتشبيه هنا مُدرك بحاسة اللمس.

ومنه قوله من قصيدته"رسول السلام":

ضيّعوا قارب النجاة ببجرٍ هم هشيمٌ لموجه أو غثاء[3]

فالتشبيه الحسي قد عقد في البيت الأول بين المشبه الضمير (هم) الذي يعني ضعاف النفوس من المسلمين و المشبه به (هشيم أو غثاء) وهو متعدد محسوس، ووجه الشبه هو الضعف في كلٍ منهما، وهو تشبيه محسوس يدرك بحاسة اللمس.

وقال في قصيدته "الشهيد الحي للحق الحي":

فابق عبدا لعزيز رمزاً مضيئاً وابق شوكاً في قلب شارون مُرّا

وابـــق علِّمْ بأنّ لربي وحـــده في الآجال حكماً وأمـــــــــرا

ولئن فزت بالشهادة يومـــــاً فلْتطب أنْ في الكتائب ذخـــراً[4]

---

[1] ديوان الشاعر ص٤١
[2] ديوان الشاعر ص٦٠
[3] ديوان الشاعر ص٨
[4] ديوان الشاعر ص٦٦

رسم الشاعر في هذا المقطع صورة لمحاولة اغتيال (عبد العزيز الرنتيسي) من قبل الإسرائيليين؛ ولكن هذه المرة لم تنجح المحاولة وإن كان قد قتل بعد ذلك، ففيه اعتزاز بعزيمة المجاهدين في فلسطين ولاسيما أبطال المقاومة.

فالتشبيه الحسي قد عقد في الشطر الثاني من البيت الأول بين المشبه (عبدا لعزيز الرنتيسي) والمشبه به (الشوك) ووجه الشبه هو الألم في كلٍ منهما، وهو تشبيه محسوس يدرك بحاسة اللمس والبصر أيضاً.

وقال في قصيدته"مكة الخير":

هو السيف إلا أن للسيف نبوةً وغمداً فنجل الغامديين أقطع

تشاد استفاض العلم فيها بأنـــه هو المزن إلا أن مازن أوسع[1]

مدح الشاعر مازن بن أحمد الغامدي، مدير مكتب مؤسسة مكة الخيرية، وبالغ في مدحه فشبهه بالسيف القاطع والمضاء في الرأي، وهذا النوع من التشبيه مدرك بحاسة اللمس والبصر أيضاً.

ثالثاً: تشبيه المسموع بالمسموع.

وهو ما كان طرفاه مدركين بحاسة السمع، وأمثلته في شعر حسب الله كثيرة، لكنها تأتي في المرتبة الثالثة بعد المبصر والملموس.

ومن أمثلته البارزة قوله في قصيدته "رسول السلام":

إنني بلبل بروضك يشـــــــدو من ترانيمه الدعا والثنـــــــــاء

قد سبتني آفاق عالمـــــــك الز اكي؛ فحلقتُ حيث البهـــــــــاء[2]

شبه الشاعر نفسه المادحة للنبي المصطفى صلى الله عليه وسلم بالبلبل، ووجه الشبه هو حسن الصوت (الشدو) في كل منهما وهذا ما تدركه حاسة السمع.

ومنه قوله في قصيدته "بشائر الأمل":

عادت تُغرّد بالقرآن فتيتنـــــا تحكي مزامير داوود وعثمـــــان[3]

---

[1] ديوان الشاعر،ص٧٠

[2] ديوان الشاعر ص٨

[3] ديوان الشاعر ص ٦٦

فقد شبه الشاعر صوت المرتلين للقرآن الكريم بمزامير داوود –عليه السلام– في الحسن،ثم أضاف إليها عثمان ليستقيم الوزن؛وإلا فإن الخليفة عثمان رضي الله عنه قد اشتهر بسرعة التلاوة. فالطرفان محسوسان يمكن إدراكهما بحاسة السمع.

وقال في قصيدته " في آفاق القرآن":

حين كان النحل يشدو حاكيـــــاً شدونا في الليـــــــــل في إقرائه

ثم يقضي الصبح في تقليدنـــــــا إن رأى التحليق في أجـــــــــوائه[1]

أعرب الشاعر عن تمسك المسلمين بالكتاب العزيز وعملهم بما فيه لدرجة أن النحل يحاكيهم بالليل في التلاوة، ويقلدهم في البحث عن عمل مفيد بالنهار. فالتشبيه حسي عقد بين (شدو) النحل بالليل وتلاوة المسلمين للقرآن بالليل، ووجه الشبه هو حسن الصوت والاستمرار في كلٍ منها. وهوتشبيه مُدرك بحاسة السمع.

وقال في قصيدته "الحقيقة الخالدة":

تساؤلات حيارى تبتغي رشـــــداً ذابت كرجع الصدى من لحني الشاجي[2]

فلم أجد ثَمَّ إلا أحـــــرفاً كتـــبت إن الحقيقيـــــة تغفـــو بين أدراجـــي[3]

ففي البيتين سؤال وجواب، حيث بحث الحائر الذي ترك كتاب الله مهمَلاً في الأدراج عن الحقيقة فلم يجدها، ثم عاد إلى كتاب الله فوجدها فيه.

فالتشبيه قد عقد بين المشبه (تساؤلات) والمراد بها الأسئلة، والمشبه به (رجع الصدى) محسوسان يدركان بحاسة السمع.

وقال في قصيدته "نفحات ولفحات":

والكفر من دعوة الإسلام في وجلٍ يرى الأذان له نعياً وتأبينـــــــــــا[4]

فلْيحشد الجند، ولينشر حبـــــائله والله مورثه ذلاً وتوهيـــــــــــنا

يصف الشاعر دعوة الكفار بالخوف والذعر لدرجةٍ أنهم يتوهمون في الأذان بكاءً لقتلاهم، كما يتوهمون فيه التذكير بمناقب موتاهم.

---

[1] ديوان الشاعر ص٨

[2] ديوان الشاعر، ص ١٤

[3] ديوان الشاعر، ص ص ٣٠ - ٣١

[4] ديوان الشاعر، ص ٣٤

فالتشبيه في البيت الأول وفي الشطر الأخير منه بالذات حسي، عقد بين الأذان من جهة المشبه، والنعي والتأبين من جهة المشبه به. أما وجه الشبه فهو إطلاق الصوت في كلٍ منهما، وهو مُدرك بحاسة السمع.

وقال في قصيدته "شاري الحزين":

وذا الخرير أنيناً كنتَ تعزفـــــه لحناً تبث به وجداً وأحزانـــا[1]

سأل الشاعر نهرَ شاري عن صوت ماءه الشبيه بأنين المتألمين، هل سبب ذلك كله الألم والحزن على فراق الشاعر عباس محمد عبد الواحد؟

فالتشبيه قد عقد في البيت بين الخرير والأنين، ووجه الشبه هو الحزن،وكلا الطرفين يمكن إدراكهما بحاسة السمع.

وقال في قصيدته "رثاء مجلس الأمن":

فلترقص الأرض في العرس البهيج على أنغام زغرودة تشـــدو بتلحيـــــن

لكنّ زغرودة الأفراح مـــــا انطلقت حتى استحالت إلى نوحٍ وتأبيــن[2]

فقد عبّر الشاعر عن آمال الناس العريضة تجاه مجلس الأمن في بادئ أمره؛ لكنه ما لبث أن غيّر من حاله فخيّب آمال الناس فيه، حيث صار أداة تستعملها الدول العظمى وقت الحاجة فقط.

فالتشبيه في البيت الثاني قد عقد بين طرفين محسوسين هما: المشبه (زغرودة) وهو الصوت الذي تطلقه النساء في مناسبات الفرح، والمشبه به (نوح) وهو البكاء، ووجه الشبه هو إطلاق الصوت في كلٍ. وهو تشبيه حسي مُدرك بحاسة السمع.

رابعاً: تشبيه المذوق بالمذوق

وهو التشبيه الذي يمكن إدراك كل من طرفيه بحاسة الذوق.

فهو في شعر حسب الله يأتي في المرتبة الرابعة بعد المبصر، والملموس،والمسموع، ومن أمثلته قوله في قصيدته "كقالة اليتيم":

الماء أشربه ليبـــرد غلّتـــــــــي فكأنــما تبريـــــــــده إسعــار

لي ليلتان ألوك بعض بليـــــــــلةٍ قد خالطت حبّاتهـــــــا الأحجار[3]

---

١ ديوان الشاعر، ص ١١٣

٢ ديوان الشاعر، ص ٦٠

٣ ديوان الشاعر، ص ٩٥

عبّر الشاعر عن الآلام التي يواجهها اليتيم بعد فقدان والده، لا سيما ألم الجوع، الذي يجعله يلجأ إلى شرب الماء فلا يجديه شيئاً، كما أن طعامه الغالب البليلة التي هي حبات من الدخن أو الذرة تبل بالماء الدافئ ومعها حبات من الرمال يتعثر فم آكلها بذلك.

فالتشبيه قد عُقد بين المشبه (التبريد) والمشبه به (إسعار) وهو شدة الحرارة، ووجه الشبه هو التأذي في كلٍ منهما وهذا لا يُدرك إلا بحاسة اللسان فهو مذوق.

وقال في قصيدته"رسول السلام":

واستطابوا مستنقع الذل كالـــــــ ـــدود لهم فيه مرتع وارتواء[1]

حيث شبه ضعاف النفوس من المسلمين بالدود، ووجه الشبه هو الشعور بالحالة السيئة في كلٍ منهما، وهذا لا يدرك إلا بحاسة الذوق.

خامساً: تشبيه المشموم بالمشموم

وهو التشبيه الذي تكون فيه حاسة الشم هي المدركة لطرفي التشبيه. وهذا النوع هو أقل الأنواع وروداً في شعر حسب الله، حيث كانت نسبته ٠,٩١%. ومن أمثلته النادرة قوله في قصيدته "حنين":

وهي في الصبح نسمة تشرح الصـــ ـــدر ابتهاجاً وتبعث الميت حيّا

فقد شبه ابنته التي لم يرها منذ أن ولدت بالنسمة، ووجه الشبه هو الرائحة الطيبة التي تشرح الصدر في كلا الطرفين، وهو مدرك بحاسة الشم.

و كذلك قوله في قصيدته "رسول السلام":

إنني زهرة بهديك فاحـــــت يُنعش النفس نفحها المعـــــــطاء

فقد شبه نفسه في تربيتها تربية إسلامية. ومعاملته للآخرين بسلوك دينية بالزهرة. ووجه الشبه هو الفوحان والانتشار في كلٍ منهما، وهو مدرك أيضاً بحاسة الشم.

---

١ ديوان الشاعر،ص٩

التشبيه المحسوس: الإحصاء والنسب

خامات التشبيه				المفرد		المتعدد		المركب	
الرقم	نوع التشبيه المحسوس	التكرار	النسبة المئوية	التكرار	النسبة المئوية	التكرار	النسبة المئوية	التكرار	النسبة المئوية
١	المبصر بالمبصر	٧٥	٧١,٤٢ %	٧٠	٦٦,٦٧ %	٠٣	%٢,٨٦	٠٢	%١,٩
٢	الملموس بالملموس	١٤	١٣,٣٣ %	١٤	١٣,٣٣ %	–	–	–	–
٣	المسموع بالمسموع	١١	١٠,٤٨ %	١١	١٠,٤٨ %	–	–	–	–
٤	المذوق بالمذوق	٠٤	%٣,٨٠	٠٤	%٣,٨٠	–	–	–	–
٥	المشموم بالمشموم	٠١	%٠,٩٥	٠١	%٠,٩٥	–	–	–	–
المجموع		١٠٥	%١٠٠	١٠٥					

يتضح من خلال الإحصائية أعلاه أن تشبيه المبصر بالمبصر هو الأكثر شيوعاً في شعر حسب الله مهدي فضلة، وذلك لوروده بنسبة ٧١,٤٢% مقارنة مع باقي التشبيهات المحسوسة.

- ويليه في المرتبة الثانية تشبيه الملموس بالملموس بنسبة ١٣,٣٣%.
- ثم يأتي بعده تشبيه المسموع بالمسموع بنسبة ١٠,٤٨%.
- كما يأتي بعده تشبيه المذوق بالمذوق بنسبة ٣,٨٠%.
- وأخيراً يأتي تشبيه المشموم بالمشموم بنسبة ٠,٩٥%.

كما يتضح كذلك في نفس الإحصائية أن حسب الله مهدي فضله، كان يستخدم التشبيه المفرد أكثر ممّا سواه من التشبيه المتعدد والمركب في شعره.

ولربما سبب ذلك معاناة الشاعر من بعض العلل في حواسه جعلته يعتمد على حاسة البصر واللمس والسمع أكثر من الذوق والشم .

(ب)التشبيه العقلي: وهو ما يدرك طرفاه بالعقل،وفي ذلك يقول القزويني:"والمراد بالعقلي ما عدا ذلك(أي:الحسي)،فدخل فيه الوهمي، وهو ما ليس مدركاً بشيء من الحواس الخمس الظاهرة، مع أنه لو أدرك لم يدرك إلا بها "[1]. وهو إما تشبيه مفرد عقلي بمفرد عقلي، أو مركب بمركب، أو متعدد بمتعدد أو مفرد بمركب، أو مفرد بمتعدد. فهو في شعر حسب الله مهدي فضلة كثير الورود، متنوع الأشكال.

أولاً: المفرد العقلي. وهو ما كان طرفاه مفردين.وهو الأكثر استعمالاً في شعر حسب الله، ومنه قوله في قصيدته"خواطر في ذكرى غزوة بدر":

فيا رمضان الفتح والنصر عُدْ لنا بنصرٍ كبدر فيه إسلامنا نعلي[2]

حيث ناشد الشاعر شهر رمضان الذي هو فيه بأن يكون شهر فرج ونصر لكل المسلمين، كما كان شهر نصرٍ وعزٍ للرسول محمد صلى الله عليه وسلم، وأصحابه رضوان الله عليهم في غزوة بدر.

فالتشبيه العقلي هنا مفرد الطرفين عقد بين النصر المنشود، والنصر المحقق ووجه الشبه هو العزة في كلٍ منهما.

ومنه قوله في قصيدته"رسول السلام":

أشرقت شمسك المنيرة في الكو ن فضمت أذيالها الظلمـــــــاء

كالخيالات للسكارى إذا مـــا أشرق العقل واستعـــيد الصفاء

أو كغـمٍ على فؤاد ويـــأس بدّدتـــه انتباهـــة أورجـــــاء

يصف الشاعر بعثة النبي محمد صلى الله عليه وسلم بأنها ظهور للهدى وإخفاء للضلال فاندهش الناس لذلك، لأنهم كانوا في جاهلية عمياء.

فالتشبيه العقلي المفرد قد عُقد بين المشبه (حياة الجاهلية) والمشبه به (الخيالات–الغم) ووجه الشبه هو الدهشة عند شيء غريب، لأن ظهور البعثة النبوية كان مدهشاً للعرب.

---

١ الخطيب القز ويني جلال الدين محمد بن عبدا لرحمن: الإيضاح في علوم البلاغة، بيروت، دار إحياء العلوم، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م، ص ٢٠٨،

٢ ديوان الشاعر، ص ٢١

وقال في قصيدته"خواطر في ذكرى غزوة بدر":

ففروا وطاروا في البرية ذُعّراً كأوهام سكرانٍ لدى عودة العقل

وصف الشاعر خوف المشركين في غزوة بدر وفرارهم من الموت وقال إنّ مرد ذلك هو الغرور المهلك.

فقد شبه الشاعر شدة خوف المشركين بأوهام السكران ووجه الشبه هو سوء الحال في كل منهما. وهذا لا يدرك إلا بالعقل.

وقال في قصيدته"إلى شباب تشاد":

وما في غير وحدتنا سبيل لإنهاضٍ به يُشفى الغليل

فإنّ تفرق الأهواء غول به الأوطان تمنى بالهزال

يدعو الشاعر أبناء وطنه إلى الوحدة والبناء والتقدم، ويرى أن من أنجح الأسباب للنهوض بالبلاد الوحدة الوطنية التي فيها يجد كل فردٍ من أبناء الوطن سعادته، أما التفرق فشيء مهلك أشبه بالغول الذي تزعم العرب "أنه نوع من الشياطين يظهر للناس في الفلاة فيتلوّن لهم في صور شتى ويغولهم، أي يهلكهم ويضللهم"[1]، أما التشبيه العقلي هنا وهميّ. حيث شبه الشاعر تفرق الأهواء بالغول الذي لا يدرك بالعقل إلا توهماً ووجه الشبه هو الهلاك الشديد في كلٍ منهما ومثله قوله تعالى: (طلعها كأنها رؤوس الشياطين)[2] لأن التشبيه الوهمي أيضاً داخل في إطار العقلي. وفي ذلك يقول صاحب التلخيص": والمراد بالعقلي ما عدا ذلك (إشارة إلى الحسي) فدخل فيه الوهمي، أي ما هو غير مدرك بالحواس الخمسة، ولو أدرك لكان مدركاً بالحواس الخمسة لا بغيرها، وهو نحو قول امرئ القيس:

أيدركني والمشرفيّ مضاجعي ومسنونه زرق كأنياب أغوال[3]

ثانياً المتعدد العقلي: ومن أمثلته قوله من قصيدته"بشراك يا لغة القرآن":

قرّي، فأنت مع الإسلام في دمـــــــنا صنوان أرساه من في القلب أرساك

كنتِ الحياة وكان الروح، هل عُرفت يــوماً حياة بــلا روحٍ، بإدراك[4]

---

١ المعجم الوسيط، ج ٢،مادة غال ص ٦٩١

٢ سورة الصافات، الآية ٦٥

٣ تلخيص المفتاح، ص ١٣٦

٤ ديوان الشاعر، ص ٩٢

طمأن الشاعر اللغة العربية بأنها لن تنهار أبداً، لأنها تجري هي مع الإسلام في دماء الشعب كله بفضل الله تعالى، وأهميتها في تشاد أشبه بأهمية الحياة للناس، كما أن أهمية الإسلام أشبه بأهمية الروح للجسد، لا غنى عنهما أبداً.

فالتشبيه الأول عقد بين المشبه اللغة العربية التي رمزها بالضمير (كنتِ) وهي مفرد معقول، والمشبه به (الحياة) وهو مفرد معقول. ووجه الشبه هو الأهمية في كلٍ.

والتشبيه الثاني عقد بين المشبه (الإسلام) الذي يفسره ضمير (كان) وهو مفرد معقول، ووجه الشبه هو الأهمية. وهذا النوع من التشبيه يطلق عليه البلاغيون اسم (التشبيه المفروق) وهو "جمع كل مشبه مع ما يشبه به"[1].

التشبيه العقلي: الإحصائية والنسبة

نوع التشبيه	التكرار	النسبة المئوية
التشبيه العقلي المفرد	١٦	% ٨٨,٨٩
التشبيه العقلي المتعدد	١	% ٥,٥٦
التشبيه العقلي المركب	١	% ٥,٥٦
المجموع	١٨	% ١٠٠

يتضح من خلال الجدول أعلاه أن نسبة التشبيه العقلي أقل بكثير من نسبة التشبيه الحسي، كما يتضح كذلك أن نسبة التشبيه العقلي المفرد أكثر أيضاً بكثير من نسبة التشبيه العقلي المتعدد والمركب. حيث بلغت نسبة المفرد وحدها ٨٨,٨٩%.

ثم تساوت نسبة المركب مع المتعدد فكانت كل واحدة منها ٥,٥٦ %، وهذا يدل على أن الشاعر حسب الله مهدي فضلة كان يميل إلى استخدام التشبيه العقلي المفرد بنسبة لا مثيل لها.

وسبب تغلب الإدراكات الحسية على العقلية هو اتجاه الشاعر نحو الأسلوب التقليدي في الشعر العربي الذي يبعد عن التعقيد وفلسفة الأشياء وإغماض الصورة ؛ وبالتالي يؤدي دوره الاجتماعي في التوجيه والتعليم والوعظ والإرشاد.

١ جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، للسيد أحمد الهاشمي، ص ٢٠٩. وعلم البين بين النظريات والأصول،ص ١٥٠

(ج) التشبيه المختلف الطرفين:

وهو ما كان أحد طرفيه حسياً والآخر عقلياً.

أولاً: تشبيه المفرد المعقول بالمفرد المحسوس، وهو الأكثر استعمالاً في شعر حسب الله، ثم يليه تشبيه المفرد المحسوس بالمفرد المعقول ، أما المتعدد والمركب فنسبتهما ضئيلة. ومن أمثلة تشبيه المفرد المعقول بالمفرد المحسوس قوله في قصيدته"وقفة على آثار وارا":

ألم تكوني مناراً ساطعاً زمنـــــاً يمدّ إفريقيا بالعـــــــــلم والأدب[1]

صفي انبعاث الهدى كالكهرباء به رأى الطريق أناس في عمى الحجب

طلب الشاعر من (وارا) العاصمة السابقة لمملكة ودّاي والتي صارت أطلالاً بأن تصف له هيئتها قبل الخراب عندما كانت حاضرة العلم والدين ومنها استمدت إفريقيا.

فالتشبيه قد عُقد بين مشبه معقول (انبعاث الهدى) ومشبه به محسوس (الكهرباء) ووجه الشبه هو الانتشار في كلٍ منهما. لأن الهدى المنتشر آنذاك أشبه بالكهرباء سرعة وعموماً.

وقال في قصيدته"الجنود المرابطة تحت لواء الرابطة":

أعيا المنافس في علمٍ وفي عمـــل واحتارت الخطبا إن بعده نطقوا

تُحصى السنين ولا تحصى نتائجها عَـــقْدٌ ولكنه كالعِقـــد مؤتلـــــق[2]

فالشاعر يمدح (عبدا لله بن عبدا لمحسن التركّي) الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي، ويصفه بالتفوق في العلم والعمل والخطابة. ولذلك جاءت إنجازاته كثيرة في زمن قليل، لأنه صاحب عهد والتزام أشبه بالعقد المنظوم.

فالتشبيه قد عقد بين المشبه المعقول (عقد) لأن العقد بفتح العين هو العهد. والمشبه به المحسوس (عِقد) بكسر العين الذي يعني الخيط الذي ينتظم فيه الخرز وغيره من حُلي النساء. ووجه الشبه هو الجمال في كلٍ منها.

ثانياً: المشبه محسوس والمشبه به معقول،وهذا النوع نادر،ومنه قوله من قصيدته"على ضفاف نهر النيجر":

---

١ ديوان الشاعر، ص ٨٧

٢ ديوان الشاعر، ص ٥٣

تمد غصونها الفيحاء يـــــأوي إليها من مـــــرادهم الرشـــاد

ترى برحابها النحـــل انتشـــــاراً وجنياً كلـــّه فنٌ مجـــــــاد[1]

مدح الشاعر الجامعة الإسلامية بمدينة (ساي) النيجرية، وشبهها بالشجرة الظليلة ذات المساحات الواسعة التي تضم إليها كل من يريد العلم وفوائده.

فالتشبيه قد عقد بين المشبه الحسي (جنياً) وهو الثمار، والمشبه به (فن)" وهو عقلي ووجه الشبه هو الفائدة في كل منهما.

ثالثاً: المتعدد، حيث المشبه مفرد محسوس والمشبه به متعدد معقول ، ومن ذلك قوله في قصيدته "خواطر في ذكرى بدر":

نعم هكذا الإسلام سيف ومصحف يُسلّ على الباغي، ويحكم بالعدل[2]

يؤكد الشاعر أن مبادئ الدين الإسلامي ترتكز على ركنين أساسيين: قوة السلاح وقوة العلم اللذان يُردع بهما العاصي وتنشر بهما العدالة في الأرض. ولكنه تحيّر من مواقف المسلمين اليوم؛ الذين رضوا بالذل والهوان ووجدوا مبرراً لهم في ذلك.

فالتشبيه قد عقد في البيت بين المشبه (الإسلام) مفرد معقول، والمشبه به (سيف ومصحف) وهو متعدد محسوس، والصفة المشتركة بينهما القوة في كلٍ منهما.

وقال في قصيدته "العربية لغتنا":

فلْنستعد همة نبني البلاد بها بالعلم والعزم يُبنى الشامخ العلم

نريدها حرة عظمى دعائمها العدل والأمن والقانون والقلم[3]

نادى الشاعر أبناء وطنه طالباً منهم قوة العزيمة لبناء البلاد التي يتمنى أن يراها دائماً حرة وعظيمة، أسسها العدل والأمن والعلم.

فالتشبيه قد عقد بين مشبه مفرد محسوس وهو (دعائم) ومشبه به متعدد معقول (العدل والأمن والقانون والقلم) والمراد بالقلم هنا العلم من باب إطلاق السبب وإرادة المسبب لأن القلم سبب في العلم. ووجه الشبه هو القوة في كل منهما. وهذا النوع من التشبيه

---

١ ديوان الشاعر، ص ٤٨

٢ ديوان الشاعر، ص ١١٠

٣ ديوان الشاعر، ص ٢١

يطلق عليه البلاغيون اسم (تشبيه الجمع)[1] ومنه قوله في قصيدته"خواطر في غزوة بدر":

متى كان دين الله دمعة ذلةٍ وتبرير أحكام وقولاً بلا فعل؟[2]

تعجب الشاعر من حال المسلمين اليوم، حيث رضوا بالواقع المرير المفروض عليهم من قبل عدوهم، وكلما أصابهم من عدوهم سوء بكوا ووجدوا مبرراً لبكائهم وذلهم.

فالتشبيه قد عُقد بين المشبه (دين الله) وهو مفرد معقول والمشبه به (دمعة ذلة وتبرير أحكام وقولاً بلا فعل) وهو متعدد بين محسوس ومعقول، ووجه الشبه هو التناقض بينهما.

رابعاً:المركب، وهو ما تركب من أجزاء لا يمكن التفريق بينها.ومن أمثلته قوله في قصيدته "بشائر الأمل":

تنساب آياته بالخير دافقة كالجدول العذب يروي كلّ ظمآن[3]

حيث شبه آيات القرآن الكريم بالجدول العذب في العذوبة،فالمشبه معقول والمشبه به محسوس.

١جواهر البلاغة، ، ص ٢٠٩
٢ ديوان الشاعر، ص ٢١
٣ ديوان الشاعر، ص ٢١

(ج) التشبيه المختلف الطرفين: الإحصاء والنسبة

نوع التشبيه	التكرار	النسبة المئوية
المفرد	١٥	% ٧٥
المتعدد	٥	% ٢٥
المركب	–	–
المجموع	**٢٠**	**% ١٠٠**

يتضح من خلال الجدول أعلاه أن نسبة التشبيه المختلف الطرفين هو أقل التشبيهات وروداً في شعر حسب الله فضلة مقارنة مع سابقيه من الحسي والعقلي.

كما يتضح كذلك أن المفرد منه هو الأكثر استخداماً بالنسبة للمتعدد والمركب. فكانت نسبته ٧٥ % ، في حين أن نسبة المتعدد كانت ٢٥ %، أما المركب فلا وجود له.

وهذه النتيجة تدل على ميل الشاعر إلى وضوح الصورة ، مما يؤكد الاتجاه الكلاسيكي لدى الشاعر وميله إلى الأسلوب التقليدي المحافظ ، للقيام بدوره التعليمي والإرشادي، حيث يكون الشاعر ناطقاً بلسان الجماعة أكثر من أن يكون معبراً عن ذاته الخاصة.لأن التشبيه المختلف أكثر تعقيداً من العقلي، والعقلي أكثر تعقيداً من الحسي.

(٢) أسلوب بناء طرفي التشبيه :

والمقصود بذلك هو أن يكون الطرفان مفردين – أو متعددين أو مركبين أو مختلفين، والمفردان إمَّا مطلقان أو مقيدان بوصف أو إضافة، أو حال، أو ظرف أو غير ذلك، أو مختلفان.

تشبيه المفرد المطلق بالمفرد المطلق هو الشائع في شعر حسب الله مهدي فضله، ويأتي بعده المتعدد والمركب. إلاّ أن البون شاسع بين المفرد من جهة؛ والمتعدد والمركب من جهة. وذلك دليل على قصر صوره التشبيهية. مما يدل بوضوح أن رسالة الشاعر قصيرة ومختصرة يمكن فهمها وإدراكها بسرعة وبسهولة دون حاجة إلى شرح أو توضيح، وهذا هو لب الاتجاه التقليدي الكلاسيكي.

أولاً: تشبيه المفرد المطلق بالمفرد المطلق وهو الشائع، ومن أمثلته قوله من قصيدته "العربية لغتنا":

فالضاد كالبحر يروي كل ظمإٍ وفيه للغائص الياقوت والتُّوم[1]

فقد شبه الشاعر اللغة العربية (الضاد بالبحر) ووجه الشبه هو الانتفاع في كلٍ، والضاد مفرد مطلق، كما أن البحر هو أيضاً مطلق عن التقييد.

كما جاء في قوله من قصيدته "كفالة اليتيم":

ها هم رفاقي في الطريق تواثبوا في خفةٍ فكأنهم أطيار[2]

حيث شبه الشاعر رفاق اليتيم المتمثلين في الضمير (كأنهم) بالأطيار ووجه الشبه هو الخفة في كلٍ منهما، دون أن يقيد الطرفين المفردين بشيء.

ثانياً: المشبه مطلق والمشبه به مقيد، مثاله قوله من قصيدته "صفحة من الكفاح والصمود":

لم يحن هامته من زأرهم فبدا كالطود يعلو، وللإعصار إعوال[3]

حيث شبه الشيخ محمد عليش الذي رمز له بالضمير (هامته) بالطود، وهو الجبل ووجه الشبه هو المقاومة وقوة التحمل في كلٍ، والطرفان مفردان، المشبه مطلق؛ في حين أن المشبه به مقيد بوصف (يعلو، وللإعصار إعوال).

وقال في قصيدته "خواطر في ذكرى بدر":

تباركت ربِّي شهر نصرك قد أتى وأمتنا كالطير بين يدي طفل[4]

فقد شبه الأمة الإسلامية الآن بالطير في يد طفل، ووجه الشبه هو الضعف في كلٍ منها. فالطرفان مفردان كان المشبه (أمة) مطلقاً. والمشبه به (الطير) مقيّد بظرف المكان (بين).

ثالثاً: المشبه مقيد والمشبه به مطلق، مثاله في قصيدته "صفحة من الكفاح والصمود":

دار التغرّب بالإيمان لي وطن والموت في الله إنعام وإفضال[5]

---

١ ديوان الشاعر، ص ٢٣
٢ ديوان الشاعر، ص ٩٥
٣ ديوان الشاعر، ص ٨٣
٤ ديوان الشاعر، ص ١٨
٥ ديوان الشاعر، ص ٨٣

حيث شبه منفى الشيخ محمد عليش بالعيش في وطنه، وذلك في الشطر الأول من البيت ووجه الشبه هو الإقامة والاستقرار في كلٍ منها. والطرفان مفردان؛ إلا أن المشبه مقيد بوصف (بالإيمان) والمشبه به (وطن) مطلق.

كما أن المشبه في الشطر الثاني (الموت) مفرد مقيد بظرف (في الله) والمشبه به (إنعام) مطلق.

رابعاً: الطرفان مقيدان، ومن ذلك قوله من قصيدته: "إلى شباب تشاد":

فإن العلم في الدنيا سلاح إذا همّ العداة بنا وصاحوا[1]

قد شبّه العلم بالسلاح ووجه الشبه هو القوة في كلٍ منهما. ثم قيد المشبه بظرف (في الدنيا) كما قيد المشبه به بوصف (إذا همّ العداة بنا وصاحوا).

خامساً: التشبيه المقلوب، وهو ما كان المشبه به مشبهاً،"ويعد هذا النوع من أساليب التشبيه مظهراً من مظاهر الافتتان والإبداع"[2]. مثاله قوله من قصيدته"رسول السلام":

أنــت رُبانه وهيكلــه القرآن وهو المَـحجة البيـضـــاء

يـــا رحيماً بالمؤمنين ينادي أمتي أمتي وإن هــم أســاؤوا

إنني زهرة بهديك فاحـــت يُنعش النفس نفحها المـــعطاء

إنني بلبل بروضك يشـــدو من ترانيمه الدعا والثنـــاء[3]

فالشاعر في هذه الأبيات الأربعة المتوالية يمدح النبي محمداً صلى الله عليه وسلم ويبين بما جادت به قريحته قدر هذا النبي العظيم فيرى في البيت الأول أن النبي صلى الله عليه وسلم هو قائد السفينة الإلهية كما أن القرآن الكريم هو هيكلها وهو الطريق المستقيم، ثم نادى الشاعر الرسول صلى الله عليه وسلم نداء فيه المدح والثناء حيث وصفه بأنه كثير الرحمة (رحيم) يوم القيامة حين ينادي: أمتي أمتي ويطلب الرحمة لمحسنهم ومسيئهم ويعنى بها الشفاعة العظمى، ثم عاد بعد ذلك إلى نفسه وقال: إنه أشبه في نشأته الدينية وتربيته وتهذيبه بالزهرة الجميلة العطرة التي يفوح طيبها الكثير في كل مكان. وإنه كالبلبل الصدّاح بشعره ولحنه الجميل المليء بالدعاء والمدح النبوي.

---

١ ديوان الشاعر، ص ٧٢

٢ جواهر البلاغة، ص ٢٢٧

٣ ديوان الشاعر، ص ٧-٨

فالتشبيه عقد في البيت الأول بين ثلاثة مقابل ثلاثة.

الأول: عقد بين المشبه الرسول صلى الله عليه وسلم وهو حسي مفرد، والمشبه به ربان وهو أيضا حسي مفرد، لأن الربان هو قائد السفينة. أما الأداة والوجه فمحذوفان، لأن التشبيه بليغ. ووجه الشبه المقدر هنا هو حسن القيادة والسياسة، وذلك بالرغم من أن المشبه أرفع درجة وأعظم خبرة بالقيادة والسياسة من المشبه به وذلك جائز لتقرير حال المشبه بدلا من المشبه به [1]. وذلك كقول أبي تمام حين مدح أحمد بن المعتصم:

إقــدام عمــرو فــي سماحة حاتم في حلم أحنف في ذكاء إياس

فأُخذ عليه أن الأمير أكبر من أن يُشبه في ذلك بالثلاثة، فقال:

لا تنكروا ضربي له من دونه مثلاً شروداً في الندى والبأس

فالله قد ضرب الأقل لنــوره مثــــلا من المشكاة والنبراس

يعني بذلك قول الله تعالى: (اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ...)[2]

إذن: فالغرض من التشبيه لدى الشاعر هو تقرير حال المشبه وتمكينه في ذهن السامع، بادعائه أن المشبه أتم من المشبه به في وجه الشبه. والثاني شبه فيه القرآن الكريم بالهيكل في الإحاطة، والثالث شبه القرآن الكريم بالمحجة في الهدى.

كل ذلك من الجانب الديني والاجتماعي، لكننا إذا دققنا النظر في أوجه الشبه بلاغياً فإن التشبيه يأخذ منحى آخر غير الذي أورده أبو تمام وجاراه فيه ابن فضلة،

[1] البلاغة الصافية، مرجع سابق، ص٣٢٢

٢ سورة النور الآية ٣٥

المبحث الثاني: التشبيه باعتبار وجه الشبه

فوجه الشبه هو ما يشترك فيه طرفا التشبيه (المشبه والمشبه به) تحقيقاً أو تخييلاً.

وقد يناقش الباحث فيه جوانب المفصل والمجمل، والقريب المبتذل، والبعيد الغريب، والتمثيلي وغير التمثيلي وفق آراء البلاغيين في ذلك للخروج بنتائج .

أولاً: وجه الشبه المذكور (القريب المبتذل)

ومن أمثلة قوله في قصيدته "العربية لغتنا":

فالضاد كالبحر يروي كل ذي ظمإٍ وفيه للغائص الياقوت والتوم

حيث شبه الشاعر اللغة العربية بالبحر، ووجه الشبه هو الرّيّ و العطاء في كل منهما، ثم ذكر وجه الشبه (المتمثل في الفعل يروي) دون أن يحتاج القارئ إلى وسيلة لمعرفة وجه الشبه.

ومنه قوله في قصيدته "وقفة على آثار وارا":

صفي الجنود إذا ريعت مواطنهم هاجوا كبحرٍ من الأمواج مضطرب[1]

حيث شبه جنود مملكة ودّاي بالبحر، ووجه الشبه هو الهيجان والاضطراب في كل منها.ثم ذكر الوجه بصريح لفظه (هاجوا – مضطرب)

وقال في القصيدة نفسها:

صفي لنا مجلس السلطان مجتمعاً بشعبه مثل أبناءٍ بحجر أب

فقد شبه مجلس السلطان بالأبناء حول أبيهم، بجامع الاجتماع والالتفاف، ووجه الشبه قد ذكر هنا بصريح لفظه (مجتمعاً).

وقال في قصيدته "رسول السلام":

إنني زهرة بهديك فاحت ينعش النفس نفحها المعطاء[2]

فقد شبه الشاعر نفسه بالزهرة بجامع الفوحان في كلٍ منهما. والوجه هنا مذكور بصريح لفظه، فهو تشبيه مبتذل يسهل العثور فيه على وجه الشبه.

وقال القصيدة نفسها:

إنني بلبل بروضك يشدو من ترانيمه الدعا والثناء

---

[1] ديوان الشاعر،ص٨٧

[2] ديوان الشاعر،ص٨

حيث شبه نفسه ببلبل يتغنى غناءً جميلاً يمدح فيه المصطفى صلى الله عليه وسلم.
فالتشبيه قد عقد بين المشبهة (إنني) أي: الشاعر نفسه، والمشبه به (بلبل) ووجه الشبه هو الشدو وعذوبة الصوت في كلٍ منهما. وكان الوجه هنا مذكوراً بصريح لفظه. فهو مبتذل قريب المنال.

وقال في قصيدته "على ضفاف نهر النيجر":

مآثر كالنجوم لها سطوعٌ وليس لها إذا عُدّت نفاد[1]

فقد شبه مناقب الأستاذ عبدا لعلي الود غيري: رئيس الجامعة الإسلامية بالنيجر بالنجوم في وضوحها وكثرتها، ثم صرح بلفظ الوجه (سطوع) الذي يعني اللمعان والظهور، فهو تشبيه مفصل.

ثانياً: البعيد الغريب ومنه قوله في قصيدته:" رثاء مجلس الأمن ":

والأرض قد رقصت ، لكن كثاكلة أحلامها وُئدت من غير تكفين[2]

فالشاعر يصف دور مجلس الأمن الفاشل في حلّ قضايا العالم، وأنه قد خيّب آمال الناس فيه مما حوّل فرحتهم إلى حزن عميق .

فالتشبيه قد عُقد بين المشبه (الأرض) وهو مفرد محسوس مطلق. والمشبه به (ثاكلة) مفرد محسوس مقيد بوصف. والكاف هي أداة التشبيه المرسل، ووجه الشبه محذوف تقديره الحزن والأسى والدهشة التي هي من مميزات المشبه به . إلّا أن العلاقة بين الطرفين بعيدةً بحيث لا يصل السامع بسرعة لمعرفة وجه الشبه بين الأرض الراقصة ، والأُم الثاكلة لولدها، حيث أن الطرف الأول باعث للفرح والراحة؛ في حين أن الطرف الثاني يُعد مصدر قلق وأسىً. لذلك يُعد مثل هذا النوع من التشبيه قبيح . وفي ذلك يقول صاحب جواهر البلاغة : " والقبيح المردود : هو ما لم يف بالغرض المطلوب منه لعدم وجود وجه بين المشبه والمشبه به ، أو مع وجوده لكنه بعيد " [3] والغرض من هذا التشبيه تشويه المشبه وتقبيحه في عين السامع .

ثالثاً: تشبيه التمثيل، ينقسم التشبيه باعتبار وجه الشبه إلى تمثيل وغير تمثيل، أما غير التمثيل كما مرَّ في الأمثلة السابقة، ولذلك سنقتصر الحديث هنا عن التمثيل.

---

[1] ديوان الشاعر،ص٤٩
[2] ديوان الشاعر،ص٦٠
[3] جواهر البلاغة ، ص ٢٢٧ .

والمقصود بالتمثيل: هو ما كان وجه الشبه فيه منتزعاً من متعدد، وهذا النوع نادر كما أشرنا إليه. ومنه قول المتنبي:

يهز الجيشُ حولك جــانبيه كما نفضت جناحيها العُقَــاب[1]

فوجه الشبة هنا هو تلك الحركة المزدوجة من تقدم وتقهقر، وهي صورة متعددة الجوانب تظهر فيها حركة التقدم وحركة التراجع[2]

ولهذا النوع من التشبيه وجود في شعر حسب الله وإن لم يكن في رتبة التشبيه غير التمثيلي ومن ذلك قوله في قصيدته: "خواطر في ذكرى غزوة بدر":

تباركت ربّي شهر نصرك قد أتى وأمتنا كالطير بين يدي طفل

تَقاذفهــا أيدي الطغـــاة كأنهــا كُريّة منطاد تداعب بالركل[3]

فوجه الشبه في البيتين هيئة منتزعة من عدة أشياء، حيث كان وجه الشبة في البيت الأول الحالة السيئة التي تعيشها الأمة الإسلامية حالياً بكل جوانبها، وهي أشبه في ذلك بحالة طير في يد أطفال يلعبون به فيتحركون به من مكان لآخر، ويقُصُّون ريشه لكي لا يطير فيتلذذون بما يؤذيه. أما في البيت الثاني فقد شبهها في تعاقب الطغاة على حكمها وإذلالها حتى ضعفت بالكرة، ووجه الشبه هو الانقياد للآخر دون مقاومة أو شعور بمرارة الظلم. أو كقوله من قصيدته "على ضفاف نهر النيجر":

سلوا الساطور ما ذنب الضحايا أزارهم التطرف والعـــــــناد

وما عرفـــــوا انتحاراً وانفجاراً فكيف جرت دماءهم وبـــــادوا؟!

كأنّا أمةٌ فرض عليـــــــــها تلقِّي الطعـــن كي يحيا العبــاد[4]

طلب الشاعر من غيره أن يوجه سؤالاً للساطور الذي قطع رقاب العلماء في مدينة أبشه عام ١٩١٧م عن ذنب هؤلاء العلماء الذي أوجب عليهم القتل؛ لأنهم لم يكونوا متطرفين ولا معاندين ولا إرهابيين، ومع ذلك فقد أسال المستعمر دماءهم وقتلهم.

وخلاصة كل ذلك أن الأمة الإسلامية مستهدفة من قبل أعدائها الذين جعلوها كالدرع الذي يتلقى الأذى نيابة عن غيره.

---

١ عبد الرحمن البرقوقي، شرح ديوان المتنبي،ج١، بيروت،دار الكتاب العربي١٩٨٠م، ص ٢٠٥

٢ علم البيان بين النظريات والأصول، مرجع سابق، ص: ١٥٤.

٣ ديوان الشاعر،ص١٨

٤ ديوان الشاعر،ص٤٦

فالتشبيه قد عقد بين المسلمين المتمثل في (أنّا) والأمة المفروض عليها تتلقى الطعن ليحيى غيرها. فوجه الشبه لم يكن صورته واحدة، بل وإنما كانت هيئة منتزعة من متعدد: مسلمون أشبه بأمة تتلقى الأذى مرات عديدة تتألم منها؛ وغيرها لا يحيا إلا إذا طعنت هذه الأُمّة حتى يحيا الآخرون.

أو كقوله من قصيدته"كف يادمع":

مزّقوا من شريط عمري فصولاً كـــالدراري بين زُهر السماء

فوجه الشبة في البيت هو هيئة منتزعة من عدة أشياء، حيث تاريخ المسلمين المتعثر في مسيرته بجبن الخونة من أبنائه، وهو أشبه في ذلك بالدراري الجميلة ولكنها متناثرة هنا وهناك.

وقال كذلك في " بشائر الأمل ":

تنساب آيـــاته بالخير دافقـــة كالجدول العذب يروي كل ظمآن

فوجه الشبة هنا أيضا هيئة متعددة حيث شبه الشاعر آيات القرآن الكريم في خيرها وبركاتها وهداها بجدول ماءٍ عذب يجد فيه الظماء رياً لعطشهم.

ومنه قوله من قصيدته " حنين ":

وُلدت كالهـــلال بعدي ولمَّـــا يكتحل ناظري بذاك المحيـــّا

حيث شبه وليدته الجديدة التي لم يرها منذ ولدت بالهلال جمالا، فوجه الشبة هيئة منتزعة من متعدد.

وقال في قصيدته" خواطر في الدعوة ":

أنلهو وذي الشيشان ثكلى وقدسنا أسير وفي الأقصى البغايا تعربد

حيث شبه الشيشان بالمرأة الثكلى التي فقدت وليدها حزنا، والقدس بإنسان أسير لا حرية له فوجه الشبة هيئة أليمة منتزعة من متعدد.

وقال في قصيدته " خواطر في ذكرى غزوة بدر ":

وأصغى إلى إبليس بعضٌ فأُعميت بصائرهم كالبُهم صارت بلا عقل

حيث شبه المشركين في رفضهم لدعوة النبي محمد - صلى الله عليه وسلم- بالبهائم، ووجه الشبة عدم العقل في كل منهما فوجه الشبة هيئة منتزعة من متعدد.

ومن تشبيه التمثيل التشبيه الضمني:

وهو تشبيه لا يستعمل فيه الركنان الرئيسيان (طرفي التشبيه) في صورة التشبيه المعروفة؛ بل يلمح إليهما تلميحا ويفهمان من سياق الكلام. ويكون المشبه به برهاناً على أن ما أسند إلى المشبه ممكن، وهو نادر الورود في شعر حسب الله. ومثاله قوله في قصيدته"خواطر في الدعوة":

نقيضان كم يحلو لقلبي التقاهما هل الكهرباء دون النقيضين توجد؟

حيث شبه الخوف والحب مجتمعين لدى الإنسان، بالسالب والموجب مجتمعين في الكهرباء، والصفة المشتركة بينهما هي التناقض، دون أن يذكر طرفي التشبيه.

التشبيه البليغ:

وهو ما حذفت أداته ووجهه ولم يبق منه سوى المشبه والمشبه به، وهو أقوى أنواع التشبيه البسيط. لأنه يلمح تلميحاً ويجعل من المشبه والمشبه به لحمة لا تنفصل حتى كأنها طرف واحد، ولهذا النوع من التشبيه وجود في شعر حسب الله، وهذا مؤشر على طلب المبالغة، حيث يجعل من المشبه والمشبه به شيئاً واحداً. ومن ذلك قوله من قصيدته "صفحة من الكفاح والصمود":

فسجل المجد والتاريخ ملحمة للحق تشهد أن الشيخ رئبال[1]

فقد شبه الشاعر الشيخ عليش محمد عووضة بالرئبال، وهو الأسد الجريء، ووجه الشبه هو الشجاعة في كلٍ منهما ؛ إلا أنه لم يذكر أداة التشبيه ولا وجه الشبه، وذلك على سبيل التشبيه البليغ.

أو كقوله في القصيدة نفسها:

أو يحسبوا أنهم من جيشنا نزعوا ليثاً، فها نحن في الميدان أشبال

حيث شبه الشباب الناشئين في ظل تربية إسلامية صحيحة في حماسهم للشيخ عليش بالأشبال، والشبل هو صغير الأسد. إلا أنه لم يذكر أداة التشبيه ولا وجه الشبه، وذلك على سبيل التشبيه البليغ.

---

١ ديوان الشاعر ص٨٣

ومن ذلك قوله أيضا في قصيدته الجنود المرابطة تحت لواء الرابطة:

هما السفينة والمختار قائدها والصحب بحارة في عهدهم صدقوا[1]

فقد شبه القرآن والسنة بالسفينة والرسول – صلى الله عليه وسلم–بقائد السفينة،وأصحابه رضوان اله عليهم بالبحارة دون أن يذكر وجه الشبه على سبيل التشبيه البليغ.

التشبيه باعتبار وجه الشبه:الإحصاء والنسب

وجه التشبيه	التكرار	النسبة المئوية
وجه الشبه المذكور (المفصل)	١١٠	٧٤,٨٣ %
وجه الشبه المحذوف (المجمل)	٣٧	٢٥,١٧ %
المجموع	١٤٧	١٠٠ %

يتضح من خلال الجدول أعلاه أن نسبة وجه الشبه المذكور (المفصل) أكثر بكثير من نسبة المحذوف (المجمل) ، حيث بلغت نسبة الأول ٧٤،٨٣ % (المفصل) ونسبة الثاني المجمل ٢٥،١٧%.

وهذا دليل على أن الشاعر حسب الله مهدي فضلة كان يميل إلى استعمال وجه الشبه المفصل. كما أن معظم هذين النوعين من وجه الشبه ذُكرا مفردين، مما يدل على ندرة التشبيه التمثيلي ، حيث أن نسبة التشبيه غير التمثيلي هي الغالبة.

كما أن التشبيه المؤكد هو الغالب في شعر حسب الله، مما يدل على قصر تشبيهاته وإخفائها، مما يتيح الفرصة للقارئ مشاركة الشاعر في استخراج المعنى. ويؤكد اتجاه الشاعر نحو الوضوح والاختصار، وهذه هي صفة الاتجاه التقليدي.

المبحث الثالث: التشبيه باعتبار أداة التشبيه

مفهوم أداة التشبيه:

أداة التشبيه هي اللفظة المستعملة للدلالة على التشبيه، ولربط المشبه بالمشبه به، كالكاف، ومثل، وشَبَه وشِبْه، وشبيه، ويشبه، وغير ذلك من أدوات التشبيه، وقد تكون أسماء أو أفعالاً أو أحرفاً. ولها دور هام في كلام العرب، وفي ذلك يقول عدنان

---

١ ديوان الشاعر ص٥٢

حسين قاسم: "إنها لبنة من لبنات بنية الصورة الشعرية، ومهما يكن حجمها فإنها تؤدي دوراً له قيمته في لحمتها"[١]

وينقسم التشبيه باعتبار أداته إلى مرسل، ومؤكد، وفي ذلك يقول صاحب الإيضاح: "وأما باعتبار أداته فإما مؤكد أو مرسل، والمؤكد ما حذف أداته"[٢]. كقوله تعالى: "وهي تمر مر السحاب[٣]"، والمرسل ما ذكرت أداته كقوله تعالى: "مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً"[٤]

أولاً: التشبيه المؤكد: وهو ما حذفت فيه أداة التشبيه ويدخل كذلك في هذا التصنيف التشبيه البليغ وهو ما حذفت أداته ووجهه.

هذا النوع من التشبيه هو الأكثر شيوعاً في شعر حسب الله مهدي فضلة، لذلك جاءت نسبه عالية ، وذلك ربما لأنه كان الشاعر يريد بذلك إيجاز اللفظ وإبهام المعنى حتى يظن السامع أن المشبه هو من جنس المشبه به وهو أبلغ من المرسل.وألوانه كثيرة منها:

(أ) **ما يقع المشبه والمشبه به موقع المبتدأ والخبر.** ومن أمثلته قوله في قصيدته "رسول السلام":

إني زهرة بهديك فاحت يُنعش النفس نفحها المعطاء[٥]

حيث شبه نفسه بالزهرة، ووجه الشبه هو الفوحان في كلٍ منهما، ولكلنه لم يذكر الأداة. فالتشبيه مؤكد، حذفت أداته، تقديره: إنني كالزهرة.

وقال في قصيدته "صفحة من الكفاح والصمود":

أو يحسبوا أنهم من جيشنا نزعوا ليثاً فها نحن في الميدان أشبال[٦]

أكد الشاعر للمستعمر أنه مهما فعل مع الشيخ محمد عليش عووضة، من تضييق وظلم ونفي، فإن الشيخ قد صنع من الشباب خلفاء له في النضال.

---

١ عدنان حسين قاسم، التصوير الشعري رؤية نقدية لبلاغتنا العربية،الكويت،مكتبة الفلاح، الطبعة الأولى،١٤٠٨هـ١٩٨٨م،ص٧٢

٢ الإيضاح في علوم البلاغة، ص٢٤٦_٢٤٧

٣ سورة النمل الآية ٨٨

٤ سورة البقرة الآية ١٧

٥ ديوان الشاعر ص٧

٦ ديوان الشاعر ص٨٤

فالتشبيه قد عقد بين المشبه (نحن) الضمير، والمشبه به (أشبال)، ووجه الشبه الشجاعة في كلٍ منهما، والأداة محذوفة لأن التشبيه بليغ وتقديرها "إنما نحن في الميدان كالأشبال".

وقال في قصيدته:"رسول السلام":

يفتدون العداة بالنفس والأقـــــــ ـــصى أسير، تَغْلِي له الأحشاء[1]

وصف الشاعر ضعاف النفوس من المسلمين بأنهم يدافعون عن أعداء دينهم بكل نفيس؛ في حين أن بيت المقدس يقع في احتلال اليهود أعداء الله.

فالتشبيه قد عقد بين المشبه (ألأقصى) والمشبه به أسير ووجه الشبه الذل في كلٍ، وأداة التشبيه محذوفة تقديرها: (الأقصى كالأسير).

وقال في قصيدته "العربية لغتنا":

لكنما لغة القرآن رايتنا في ذلّها الذل، في إعلائها الشمم[2]

أشاد الشاعر بأهمية اللغة العربية في تشاد، لأنها لغة الدين الإسلامي الحنيف، ومن أراد بها سوءً فقد أساء إلى الناس جميعاً.

حيث عقد التشبيه بين المشبه (لغة القرآن) والمشبه به (راية)، ووجه الشبه الظهور في كلٍ منهما، ثم حذفت الأداة لأن التشبيه بليغ تقدير الأداة فيه (لغة القرآن كالراية قي الظهور).

(ب) **المشبه به مصدر مبين للنوع:** ومنه قوله في قصيدته "بشراك يالغة القرآن"

وليبق تركي للأمجاد ينظمهـــا نظم اللآلي في عقدٍ وأســـــلاك

من قاد رابطة الإسلام منتهجاً حزم الإدارة في إخلاص نُساك[3]

تمنى الشاعر (لعبدا لله بن عبدا لمحسن التركي) الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي طول العمر ليزيد من أعمال البر والخير لأنه أهل لذلك.

فالتشبيه قد عقد بين المشبه (الأمجاد المنظومة) والمشبه به (اللآلي المنظومة) ووجه الشبه التركيب في كلٍ منهما، وأداة التشبيه محذوفة تقديرها (ينظمها كنظم اللآلي).

ثانياً: التشبيه المرسل في شعر حسب الله مهدي فضله

---

١ ديوان الشاعر ص٩

٢ ديوان الشاعر ص٧٨

٣ ديوان الشاعر ص٩٣

فقد استخدم الشاعر حسب الله التشبيه المرسل في شعره استخداماً كثيراً. ومع ذلك فإن استعماله للتشبيه المرسل يأتي في المرتبة الثانية بعد المؤكد.

(أ) التشبيه مع الأداة حرفاً: وهو ما استخدمت فيه أداة التشبيه حرفاً، والكاف أكثرها استخداماً في شعر شاعرنا، ومن ذلك قوله من قصيدته "العربية لغتنا":

فالضاد كالبحر يروي كل ذي ظمإٍ وفيه للغائص الياقوت والتوم[1]

حيث شبه الشاعر اللغة العربية بالبحر، ووجه الشبه هو الفائدة في كل منها. ثم استعمل الأداة (الكاف) وهي حرف، و من سماتها أنها تسبق المشبه به.

وقال في قصيدته"صفحة من الكفاح والصمود":

لم يحن هامته من زأرهم فبدا كالطّود يعلو وللإعصار إعوال[2]

وصف الشاعر الشيخ عليش عووضة في مواجهته للمستعمر ومؤامراته بأنه لم يركع لضغوطاته؛ بل واجهه بأنفةٍ وإباء.

فقد شبه الشيخ بالطود، ووجه الشبه هو الشموخ والأنفة في كل. والأداة المستعملة هي (الكاف) وهي حرف.

وقال في قصيدته "وقفة على آثار وارا":

صفي الجنود إذ ريعت مواطنهم هــاجوا كبحرٍ من الأمواج مضطرب

صفي انبعاث الهدى كالكهرباء به رأى الطريق أناسٌ في عمى الحجب[3]

ناشد الشاعر (وارا) بأن تصف هيبة جنود المملكة وقوتهم آنذاك ، كما ناشدها بوصف انتشار الدعوة الإسلامية انتشاراً سريعاً في كل أرجاء البلاد.

فالتشبيه قد عقد في البيت الأول بين المشبه (الجنود) والمشبه به (البحر)، ووجه الشبه الاضطراب والهيجان في كل منهما. والأداة المستعملة هي حرف الكاف.

أما في البيت الثاني فقد عقد التشبيه بين المشبه (انبعاث الهدى) والمشبه به (الكهرباء)، ووجه الشبه الانتشار في كلٍ منهما. والأداة المستعملة هي حرف الكاف.

وقال في قصيدته"رسول السلام":

فاحتواهم قاع الحياة مــلاذاً واعتلتهم أدناسه والجُفــاء

---

١ ديوان الشاعر ص٧٨

٢ ديوان الشاعر ص٨٣

٣ ديوان الشاعر ص٨٧

واستطابوا مستنقع الذُّلّ كالد ود لهم فيه مرتعٌ وارتواء[1]

وصف الشاعر الطائفة الضعيفة من المسلمين في تطلعاتها حيث رضيت بحياة الذل والهوان، وهي في حالتها هذه أشبه بالدود الذي ارتضى العيش في قيعان القاذورات. فالتشبيه قد عقد في البيت الثاني بين المشبه ضفاف النفوس من المسلمين المتمثل في ضمير(احتواهم) والمشبه به (الدود) ووجه الشبه هو الرضى بالهوان في كلٍ. والأداة المستعملة هي حرف الكاف.

وتأتي الأداة كأنّ في المنزلة الثانية بعد الكاف من حيث كثرة الاستخدام في شعر حسب الله ، مثال ذلك قوله في قصيدته"خواطر غزوة بدر":

تقاذفها أيدي الطغاة كأنّها كُريَّة منطادٍ تداعب بالركل[2]

حيث استخدم الشاعر كأنّ للربط بين طرفي التشبيه .

ومن ذلك قوله في قصيدته"على ضفاف نهر النيجر"مستخدماً كأنّ للربط بين الطرفين:

كأنّا أمةٌ فرضٌ عليها تلقِّي الطعن كي يحيى العباد[3]

ومنها قوله في قصيدته"كفالة اليتيم":

الماء أشربه ليبرد غلَّتي فكأنَّما تبريده إسعار[4]

(ب) التشبيه مع الأداة اسماً: وهو الذي تكون فيه أداة التشبيه اسماً. ومن أمثلته في شعر حسب الله قوله في قصيدته"الشهيد الحي للحق الحي":

لم تضع قطرة الدماء هباءً مثل حبرٍ في "أسلو" قد ضاع هدرا[5]

المعنى: أن المقاومة الفلسطينية لم ترح سداً كما راحت اتفاقيات أسلو.

فالتشبيه قد عقد بين المشبه (قطرة الدماء) والمشبه به (حبر)، ووجه الشبه هو الضياع في كلٍ منهما، والأداة المستعملة هي (مثل) وهي اسم.

ومنها قوله في قصيدته"وقفة على آثار وارا" رابطاً بين الطرفين بمثل:

صِفي لنا مجلس السلطان مجتمعاً بشعبه مثل أبناءٍ بحجر أب[6]

---

١ ديوان الشاعر ص٨-٩
٢ ديوان الشاعر ص١٨
٣ ديوان الشاعر ص٨٣
٤ ديوان الشاعر ص٩٥
٥ ديوان الشاعر ص٦٥
٦ ديوان الشاعر ص٨٧

ويستخدم حاكياً في قصيدته"في آفاق القرآن"حيث يقول:

حين كان النحل يشدو حاكياً شدونا في الليل في إقرائه[1]

فالتشبيه قد عقد بين المشبه (شدو النحل) والمشبه به (ترتيل القرآن)، ووجه الشبه هو الملازمة وحلاوة الصوت في كلٍ منهما. والأداة المستعملة هي حاكياً الذي يعمل عمل الكاف.

(ج) التشبيه مع الأداة فعلاً: وهو الذي تكون فيه أداة التشبيه فعلاً .

فهذا النوع بشقيه (فعل اليقين– وفعل الشك) [2] قد ورد في شعر حسب الله مهدي فضله بنسبة قليلة. ففي قوله من قصيدته "شاري الحزين":

قد غاض مائي حزناً واستعضت به دمعاً، فليس بماءٍ كل ما لانا

لا ترميّني بنسيان الحبيـــــب إذا جازته دولتكم جحداً ونسيانا[3]

فقد عبر الشاعر على لسان (نهر شاري) الحزين عن وفاة الشيخ والشاعر الكبير عباس محمد عبدا لواحد، لدرجة أن النهر اعتبر كل مياهه الجارية دموعاً أسفاً على فراق أحب الناس إليه، ثم طلب النهر من الشاعر ألا يعده ممن ينسون ذلك العالم الشاعر الذي أنكرته ونسيته دولته.

فالتشبيه قد عقد بين المشبه (مائي) والمشبه به (دمعاً)، ووجه الشبه الحزن في كلٍ منهما، أما أداة التشبيه فهي الفعل (استعضت) من العوض الذي يحل أحد الشيئين مكان الأخر. وهو فعل يقين.

ومنها استخدام الفعل (يحسب) في قصيدته "نفحات ولفحات"حيث يقول:

لا نرتجي من سوى الرحمن مرحمة أو تستكين لمخلوقٍ نواصينا

أعزةً وكتاب الله في يدنـــــــــا يكاد يحسبنا الأعدا سلاطينا[4]

أعرب الشاعر عن أنَفة المسلمين وإبائهم بحيث لا يركعون إلا لله. ومن شدة تمسكهم بكتاب الله صاروا أقوياء أعزاء لدرجة يُخيّل إلى غيرهم أنهم سلاطين.

---

١ ديوان الشاعر ص١٤

٢ جواهر، البلاغة ص٢٢٣

٣ ديوان الشاعر ص١٠٥

٤ ديوان الشاعر ص٣٣

فالتشبيه قد عقد بين المشبه المسلمون المتمثل في الضمير المتصل بـــ(يحسبنا) والمشبه به (سلاطين) ووجه الشبه: العزة والقوة في كلٍ منهما، أما الأداة المستعملة فهي فعل شك (يحسب).

وقال في قصيدته "بشراك باللغة القرآن"حيث استخدم الفعل (انقلب):

صاغوا القيود لقتل الضاد فانقلبت تاج افتخار به الرحمن حلاّك[1]

أعرب الشاعر عن فشل أعداء اللغة العربية في محاربتها في تشاد، حيث تحولت كل مؤامراتهم إلى أسباب انتشار وانتصار للغة العربية.

فالتشبيه قد عقد بين المشبه (القيود) والمشبه به (تاج افتخار) ووجه الشبه التحول في كلٍ منها، وأداة التشبيه فعل انقلب.

واستخدم الفعل تخيل وظن في قصيدته "حديث البدور" حيث يقول:

فهبَّ مهرولاً للقاك لمّا تخيّل فيك بدراً عنه يسأل

رأى نوراً تنزّل من علوٍ فظنّ شقيقه المفقود أقبل[2]

تحدث الشاعر عن الحالة التي أصابته حينما افتقد شقيقه الأكبر (محمد الأمين) الذي سافر إلى ليبيا وقت الحصار، وانقطعت أخباره؛ فصار يتخيل مجيئه في كل ما يظهر له، في البدر، في النور، وفي كل شيء.

فالتشبيه قد عقد في البيت الأول بين المشبه (شقيق الشاعر) المتمثل في الضمير المتصل (بـــفيك) والمشبه به (بدراً) ووجه الشبه هو الظهور في كلٍ، والأداة المستعملة هنا هي فعل الشك (تخيل). أما في البيت الثاني فقد شبه الشاعر (النور) بأخيه المفقود ووجه الشبه هو الإقبال في كلٍ منهما. والأداة المستعملة هي فعل الشك (ظن).

---

١ ديوان الشاعر ص٨٩

٢ ديوان الشاعر ص١٢٦

(أ)التشبيه باعتبار أداة التشبيه، الإحصاء والنسب :

نوع التشبيه	التكرار	النسبة المئوية
التشبيه المؤكد	٥٧	%٥٣،٧٧
التشبيه المرسل	٤٩	%٤٦،٢٢
المجموع	**١٠٦**	**%١٠٠**

(ب) التشبيه المؤكد، الإحصاء والنسب:

نوع الأداة المستخدمة	التكرار	النسبة المئوية
الكاف	٢٦	% ٥٣,٠٦
كأنّ	١١	% ٢٢,٤٤
مثل	٥	% ١٠,٢٠
يستحيل	١	% ٢,٠٤
حاكياً	١	% ٢,٠٤
استعضت	١	% ٢,٠٤
نحيل	١	% ٢,٠٤
تخيل	١	% ٢,٠٤
ظن	١	% ٢,٠٤
سوى	١	% ٢,٠٤
المجموع	**٤٩**	**% ١٠٠**

يتضح من الجدول رقم (أ) أعلاه أن التشبيه الذي حذفت منه الأداة أكثر وروداً في شعر حسب الله مما لم تذكر فيه الأداة، كما يتضح من الجدول رقم (ب) أن الكاف هي أكثر أدوات التشبيه استخداماً، تليها كأنّ ، ثم مثل، ثم تأتي الأدوات الأخرى بنسب ضئيلة ومتساوية.

ويستنتج من ذلك أن حسب الله مهدي فضله كان يؤكد الصورة بإكثاره من حذف الأداة ليختصر للقارئ المعنى الذي يقصده. وهذا دليل اعتماد الشاعر على الإيجاز الذي يتماشى مع اتجاهه التقليدي الكلاسيكي.

الفصل الثالث:

الاستعارة

المبحث الأول: الاستعارة التصريحية في شعر حسب الله مهدي فضله

المبحث الثاني: الاستعارة المكنية في شعر حسب الله مهدي فضله

الفصل الثالث:

الاستعارة

مفهوم الاستعارة:

الاستعارة، لغة: طلب العارية، أي رفع الشيء وتحويله من مكانه، يقال استعار فلان سهماً من كنانته إذا رفعه وحوله منها إلى يده، وتقول: استعار فلان الثوب من أخيه بمعنى أن الثوب انتقل من يد المعير إلى المستعير للانتفاع به[1].

أما في اصطلاح البلاغيين فهي:"أن تذكر أحد طرفي التشبيه وتريد به الطرف الأخر مدعياً دخول المشبه في جنس المشبه به؛ دالاً على ذلك بإثباتك للمشبه ما يخص المشبه به كما تقول في الحُمام أسد، وأنت تريد به الشجاع مدعياً أنه من جنس الأسود فتثبت للشجاع ما يخص المشبه به مع اسم جنسه، مع سدّ طريق التشبيه بإفراده في الذِّكر،أو كما تقول :إنّ المنية أنشبت أظفارها وأنت تريد بالمنية السبع بادعاء السَّبُعية لها وإنكار أن تكون شيئا غير سبع فتثبت لها ما يخص المشبه به، وهو الأظفار ، وسمي هذا النوع من المجاز استعارة لمكان التناسب بينه وبين الاستعارة".[2]

وللاستعارة ثلاثة أركان:

١ مستعارٌ منه: وهو اللفظ الذي تستعار منه الصفة أو الكلمة، وهو بمنزلة المشبه به.

٢ ومستعارٌ له: وهو اللفظ الذي تستعار له الصفة أو الكلمة، وهو بمنزلة المشبه.

٣ ومستعار: وهو اللفظ المنقول من المستعار منه إلى المستعار له

"وللاستعارة أهمية كبيرة في كلام العرب قديماً وحديثاً،"فهي ميدان فسيح من ميادين البلاغة، وهي أبلغ من التشبيه لأنها تضع أمام المخاطب بدلاً من التشبيه صورةً جديدة تملك عليه مشاعره وتذهله عما ينطوي تحتها من التشبيه، وعلى مقدار ما في تلك الصورة من الروعة وسمو الخيال تكون البلاغة".[3] "ولولا أن الاستعارة المصيبة

---

[1] مجمع اللغة العربية،المعجم الوسيط، بيروت،دار عمران،ط٣، ١٩٨٥،ص٦٥٩ .وانظر كذلك: د. عبد العزيز عتيق، علم البيان، بيروت، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م، ص ١٦٧

[2] أبي يعقوب يوسف بن أبي بكر بن محمد السكاكي،مفتاح العلوم،تحقيق حمدي محمدي قابيل،القاهرة،المكتبة التوفيقية،ص ٣٢٠

[3] جواهر البلاغة،ص٢٦٧

تتضمن ما لا تتضمنه الحقيقة من زيادة فائدة؛ لكانت الحقيقة أولى منها استعمالاً ".[1] و تتقسم الاستعارة باعتبار طرفيها إلى تصريحيه ومكنية.

وتدور دراسة هذا الفصل حول مبحثين أساسيين: الاستعارة التصريحية والمكنية. وفي إطار كل مبحث سنناقش الاستعارة باعتبار الملائم.

يلاحظ الباحث أن الشاعر حسب الله مهدي فضله كان يميل إلى استخدام الاستعارة التصريحية التبعية التي كان اللفظ المستعمل فيها فعلاً، لذلك يمكن اعتبار جلّ الاستعارات المكنية المستخدمة في شعره تصريحيةً تبعيةً؛ شريطة ألّا يُعتبر الاثنان معاً(المكنية، والتصريحية التبعية) في آنٍ واحد، ومن ذلك قوله من قصيدته "العربية لغتنا":

لا تنصتوا لحسود بات يرشقها بأسهم الحقد إن الحقد منهزم[2]

المعنى: يقول الشاعر: لا تسمعوا لقول الحسود الذي يُكنّ الحقد والكراهية للغة العربية لأنّ نهاية أمره الهزيمة. فيمكن القول في إجرائها:

شبه الشاعر حالة الحاقد بحالة إنسان له سهام يطعن بها عدوه، ثم تناسى التشبيه وحذف المستعار منه وأبقى شيئا من لوازمه وهو فعل "الرشق"، والقرينة هي أسهم الحقد على سبيل الاستعارة المكنية. وفي ذلك يقول صاحب جواهر البلاغة:"إذا جرت الاستعارة في واحدة من الاستعارة التصريحية أو في الاستعارة المكنية ،امتنع إجراؤها في الأخرى"[3].

ويلاحظ كذلك غلبة التجريد في كلا الاستعارتين مما يدل على ميل الشاعر لوصف الصور القصيرة و القريبة التي لا تتجاوز حدود المألوف،لأن وصف المستعار له أسهل من وصف المستعار منه. وهذا يتفق واتجاهه التقليدي.

---

[1] العسكري،الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن معدان العسكري،كتاب الصناعتين،القاهرة،دار المعارف،الطبعة الأولى، ١٩٥٢م ص٢٦٨

[2] ديوان الشاعر ص ٧٨

[3] جواهر البلاغة، ص ٢٥٥

المبحث الأول: الاستعارة التصريحية

الاستعارة التصريحية هي: ما صرح فيها باللفظ الدال على المشبه به ، وهي إما مجردة أو مطلقة، أو مرشحة. ولها دورٌ هامٌ في كلام العرب قديماً وحديثاً،لأنها "توجب حصول ما سيقت له إيجاباً ذاتياً يستحيل مع ما ذَكَرتَه أن يُعرَّى عنها" [1] وقد أكثر الشاعر حسب الله مهدي فضله من استخدامها في شعره بنسبة متفاوتة.

أولاً:الاستعارة التصريحية المجردة:

وهي ما ذكر معها من الأوصاف ما يلائم المستعارَ له(المشبه)[2]. وهو الغالب في شعر حسب الله مهدي فضلة، وأمثلته كثيرة إلا أن الباحث سيعرض بضع نماذج منها لكل نوع بغية الاستشهاد، ومن ذلك قوله في قصيدته" بشائر الأمل":

عادت تُغرّد بالقرآن فتيتنا تحكي مزامير داوود وعثمان[3]

المعنى : يعرض الشاعر في هذا البيت صورةً جميلةً للشباب الناشئين في ظل تربية إيمانية، وكان قد استقى هذه الصورة من خلال مشاركته في المخيم الشبابي الذي نظمه (اتحاد شباب تشاد الإسلامي) في رمضان عام ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م بالعاصمة أنجمينا. وكان مما أثار حفيظة الشاعر في ذلك المخيم اهتمام الشباب بالقرآن الكريم تلاوةً، وحفظاً، وتفهماً. فاستعمل الفعل "عاد" في مطلع هذا المقطع ليدل على أن هناك اهتماماً بدأ يظهر في نفوس الشباب بعد غيبة طويلة، فصاروا يرتلون القرآن ترتيلاً عذباً يحاكي ترتيل النبي داوود عليه السلام أو ترتيل الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه.

شُبهت تلاوة الشباب بتغريد الطيور بجامع حسن الصوت في كلٍ منهما ، ثم تنوسي التشبيه واعتبرت التلاوة فرداً من أفراد التغريد ثم اشتق لها الفعل (تغرد) على سبيل الاستعارة التصريحية. ثم زاد من وصف المستعار له (تحكي مزامير داوود وعثمان) وبذلك صارت الاستعارة مجردة.(أما عطف عثمان بن عفان رضي الله

---

[1] ابن الزملكان، التبيان في علم البيان المطلع على إعجاز القرآن،تحقيق:أحمد مطلوب وخديجة الحديثي، بغداد،مطبعة العاني،١٣٨٣هـ١٩٦٤م،ص٤٢

[2] السيد أحمد بن زيني دحلان،مجموع خمس رسائل لدحلان،مصر،مطبعة مصطفى محمد،١٣٥٥هـ-١٩٣٧م،ص٣

[3] ديوان الشاعر ص ٢٣

عنه على داوود عليه السلام هنا ربما جاء لضرورة اقتضتها القافية، وإلاّ فإنّ الصحابي المشهور بحسن الصوت هو أبو موسى الأشعري،)

وقال في قصيدته "على ضفاف نهر النيجر":

تضاءل نهر نيجر إذ تمنى ينافسه فخالفه المراد[1]

المعنى: شعر النهر بقلة العطاء رغم كثرة مياهه الجارية؛ وذلك مقارنة مع عطاء الشاعر الراحل عباس محمد عبد الواحد ،فاعترف له بالتفوق.

شبه النهر بإنسان كريم يشعر بتفوق منافسه في العطاء، بجامع العطاء في كلٍ منهما، ثم تنوسي التشبيه واعتبر المشبه فرداً من أفراد المشبه به ثم اشتق له الفعلان (تضاءل ــ ينافس) على سبيل الاستعارة التصريحية. ثم زاد من وصف المستعار له (فخالفه المراد) وبذلك صارت الاستعارة مجردة.

وقال في قصيدته "كف يا دمع":

كانت الشمس تستضيء بنوري والمحيطات تستمد عطائي[2]

المعنى: أن المسلم حينما كان عزيزاً وقوياً قاد العالم كله وسار مثالاً حياً لكل شيء جميل.

فقد شبه الشاعر الإيمان بالنور، بجامع بالهدى والرشاد في كلٍ منهما، ثم تنوسي التشبيه وادعي أن المشبه فرد من أفراد المشبه به وداخل في جنسه، ثم استعير له لفظ النور وذلك على سبيل الاستعارة التصريحية المجردة.

وقال في قصيدته "مكة الخير":

أفاضوا على الأيتام خيراً ونعمة فأنسوهم الأحزان إذ جف مدمع[3]

المعنى: أن هؤلاء المحسنين في مؤسسة مكة الخيرية قد قدموا الكثير للمحتاجين والمعوزين مما جعلهم ينسون أحزانهم ويأملون في حياة سعيدة.

---

[1] ديوان الشاعر ص٤٩
[2] ديوان الشاعر ص ٤٢
[3] ديوان الشاعر ص ٦٩

فقد شبه الشاعر العطاء بالماء المرتفع فوق المألوف بجامع عموم النفع في كل منهما، ثم حذف المستعار له وادعي أن المستعار له فرد من أفراد المستعار منه وداخل في جنسه والقرينة المانعة من إرادة المعنى الأصلي (الخير والنعمة) ثم استعار كلمة (الفيض) وذلك على سبيل الاستعارة التصريحية المجردة التي ذكر فيها من الوصف ما يلائم المستعار له "فأنسوهم الأحزان".

ثانيا:الاستعارة التصريحية المطلقة:

وهي ما أُطلقت عن التقييد بما يلائم أحد الطرفين. أي: خلت من الترشيح والتجريد. وهي كثيرة في شعر حسب الله، وتأتي في المرتبة الثانية بعد المجردة، ومن ذلك قوله في قصيدته"بشراك يا لغة القرآن":

حين استباحت حمى الآساد شرذمةٌ من الذئاب عوت في روض مغناك[1]

المعنى: لمّا ضعف الوطن العربي وتنازل عن مسئولياته استبدّ فيه أعداءه واستفحلوا في عداوتهم فأساءوا التصرف له ولأهله.

فقد شبه رجال اللغة العربية بالأُسود بجامع الشجاعة والقوة في كل منهما، ثم حذف المشبه واستعير له لفظ مشبه به "الآساد" وادعي أن المشبه فرد من أفراد المشبه به وداخل في جنسه، وذلك من قبيل الاستعارة التصريحية المطلقة.

وهذه استعارة غريبة شبه الشاعر فيها العلماءَ بالأسود، وكأنه لم يسمع بقول المتنبي عندما مدح ابن العميد فشبهه بأرسطو، وجالينوس، وقال إنه كثير العلم، وكأنما كلّ العقلاء قد تجمعوا في شخصه:

مَنْ مُبْلِغُ الأَعْرابِ أَني بعدها شاهدتُ رَسْطَاليسَ والإسكنـــدرا
ومللت نَحْرَ عشارها فأضافني مَنْ يَنْحَرُ البِدَرَ النُّضَارَ لِمَنْ قَرَى
وسمعت بطليموس دارس كتبه مُتَمَلِّكاً مُتَبَدِّياً مُتَحَضّـــــــرا
ولقيتُ كُلَّ الفاضلينَ كأَنَّمَـــا رَدَّ الإلهُ نُفوسَهم والأَعْصـــرَا[2]

[1] ديوان الشاعر ص ٩١
[2] شرح ديوان المتنبي، لعبد الرحمن البرقوقي، ص-ص ٢٧٦-٢٧٧-٢٧٨

لكن الشاعر حسب الله مهدي فضله تبدو عليه الروح القتالية التي استقاها من ظروف الاحتلال الأجنبي لبلاده.

ثالثاً:الاستعارة التصريحية المرشحة:

وهي ما ذكر معها من الوصف ما يلائم المستعار منه، وتأتي في المرتبة الثالثة بعد المجردة، ومن ذلك قوله في قصيدته"ملحمة الشيشان":

وارجمي تلك الدباب الجائعة علّها في الشهب تلقى مشبعا[1]

المعنى: ناشد الشاعر الشيشان بأن يرموا الروس الذين يقاتلونهم ظلماً وعدواناً رمياً يؤذيهم ويريح المؤمنين.

فقد شبه الشاعر الروس بالدباب بجامع الأذى في كل منهم، ثم تنوسي ذلك التشبيه وادعى أن المشبه فرد من أفراد المشبه به وداخل في جنسه، ثم استعار له لفظ الدباب وذلك على سبيل الاستعارة التصريحية المرشحة بوصف المستعار منه "الجائعة" ولو قال :الشرسة لكان أفضل،لأن الجوع ليس صفة خاصة بالدباب وحدها.

وقال في قصيدته "كف يا دمع":

مزّقوا من شريط عمري فصولاً كالدراري بين زهر السماء[2]

المعنى: أن الجبناء والخونة من أبناء الأمة الإسلامية هم الذين كانوا سبباً في تمزيقها وتفرق هممها أمام أعدائها.

فقد شبه الأمة الإسلامية بالشريط الممزق بجامع التفرق في كلٍ منهما، ثم تنوسي التشبيه وادعي أن المشبه فرد من أفراد المشبه به وداخل في جنسه، ثم استعير له لفظ "شريط" على سبيل الاستعارة التصريحية المرشحة بوصف المستعار منه(فصولاً كالداري). فلو قال قطَّعوا من شريط عمري لكان أفضل وأنسب، لأن الشريط لا يمزق؛ بل وإنما يقطع. كما أنَّ الشريط نفسه كلمة مولدة، تعني شريطاً يحمل صوراً، كشريط السينما أو الفيديو.

---

[1] ديوان الشاعر ،ص٥٨

[2] ديوان الشاعر، ص٤١

وقال في قصيدته"ملحمة الشيشان":

يا نسوراً حلقت فوق الذّرى عافت السفح وقاعاً مُنتِنا[1]

مدح الشاعر مقاتلي الشيشان بالإباء وعلوّ الهمم، وعدم الرضى بالذل والهوان.

فقد شبه الشاعر مقاتلي الشيشان بالنسور بجامع القوة في كلٍ منهما، ثم تنوسي التشبيه وادعي أن المشبه فرد من أفراد المشبه وداخل في جنسه، ثم استعير له لفظ "نسور" على سبيل الاستعارة التصريحية المرشحة بوصف المستعار منه" حلقت فوق الذرى".

وقال في القصيدة نفسها:

وافهمي الدبّ بأنّ المنسرا لم يكن لحماً مُساغاً لينا[2]

المعنى: شبه الشاعر المجاهدين في الشيشان بمخالب النسور عزماً وصلابةً كما شبه الروس بالدب بأن يلقنوا الروس دروساً في الجهاد ورد الظلم.

فقد شبه الشاعر الروس بالدب بجامع الاعتداء في كل منهما، ثم تنوسي التشبيه وادعي أن المشبه فرد من أفراد المشبه به وداخل في جنسه، كما شبه الشيشان بالمنسر(وهو مخلب الطائر الجارح) بجامع الصلابة والقوة في كل منهما، ثم تنوسي التشبيه وادعي أن المشبه فرد من أفراد المشبه به وداخل في جنسه وذلك من طريق الاستعارة التصريحية المرشحة.

وقال في قصيدته "بشراك يا لغة القرآن":

حين استباحت حمى الآساد شرذمةٌ من الذئاب عوت في روض مغناك[3]

المعنى: لما ضعف الناطقون باللغة العربية وتنازلوا عن مسئولياتهم استبد فيهم أعداؤها واستفحلوا في عداوتهم فأساءوا التصرف إليها وإلى أهلها.

ففي البيت استعارة تصريحية في قوله "شرذمة من الذئاب" حيث شبه الشاعر أعداء اللغة العربية بالذئاب، ثم حذف المشبه "أعداء اللغة العربية" واستعار له لفظ الذئاب

---

[1] ديوان الشاعر ص ٥٧
[2] ديوان الشاعر ص ٥٧
[3] ديوان الشاعر ص ٩١

وادعى أنه فرد من أفراد الذئاب وداخل في جنسه وذلك من باب الاستعارة التصريحية المرشحة بقوله "عوت" الملائم للمستعار منه.

وقال في قصيدته "ملحمة الشيشان":

أين ڤيتو أين دعوى العولمة أين شرطي علينا عربدا[1]

فهو يتساءل عن دور الولايات المتحدة الأمريكية المتسلط الذي هو أشبه بالشرطي في العالم اليوم لاسيما في حربها للشيشان.

شبه الشاعر أمريكا بشرطي ثم تناسى التشبيه وادعى أن المشبه فرد من أفراد المشبه به، وداخل في جنسه ثم استعير له لفظ شرطي على سبيل الاستعارة التصريحية المرشحة.

وقال في قصيدته "الشهيد الحق للحق الحي":

أفاضوا على الأيتام خيراً ونعمة فأنسوهم الأحزان إذ جفّ مدمع[2]

المعنى: أن المسئولين في مؤسسة مكة الخيرية قد قدموا العطاءات والهبات الكثيرة للأيتام في تشاد لدرجةٍ جعلتهم ينسون الحالة الأليمة التي كانوا يعيشونها.

شبه الشاعر العمل الخيري بالإفاضة وهو ماء البحر الكثير، بجامع الجود في كل منهما، ثم استعار الإفاضة للعطاء الكثير ثم اشتق من الإفاضة هذا المعنى "أفاضوا" أي: أعطوا كثيراً وذلك على سبيل الاستعارة التصريحية المرشحة لأن اللفظ المستعار فعلاً مشتقاً من الإفاضة.

وقال في قصيدته "ملحمة الشيشان":

لا تسل يا قلب منهم مرحمة كل مسعورٍ علينا استأسدا [3]

يرى الشاعر أن المسلمين في هذا الزمان كانوا يعانون من أذى السفلة من أعداء الدين.

---

[1] ديوان الشاعر ص ٥٦
[2] ديوان الشاعر ص ٦٩
[3] ديوان الشاعر ، ص ٥٦

فقد شُبه السفلة بالكلب المسعور ثم تُوسيَ التشبيه وادعي أن المشبه فرد من أفراد المشبه به وداخل في جنسه ثم استعير له لفظ الأسد على سبيل الاستعارة التصريحية المرشحة.

المبحث الثاني : الاستعارة المكنية

الاستعارة المكنية هي: ما حذف منها المستعار منه، وظلت في الكلام قرينة تدل عليه، وذُكر المستعار له.

وسندور الدراسة حول ما يلائم طرفي الاستعارة من وصف (والترشيح، والتجريد، والإطلاق ،) كما مر مع الاستعارة التصريحية

أولاً: الاستعارة المكنية المجردة:

وهي الاستعارة الأكثر وروداً في شعر حسب الله ومن أمثلتها قوله في قصيدته "الحقيقة الخالدة":

فصافحتني خيوط الشمس ساطعة بالتبر تصبغ ثوب العالَم الشاكي[1]

المعني: تحدث الشاعر على لسان إنسان حائر ترك كتاب الله وراء ظهره وصار يبحث عن التوحيد في الكائنات، فأول ما فكّر فكّر في الشمس التي أعربت عن ضعفها بإرسالها خيوطاً عسجدية.

فقد شبه الشاعر خيوط الشمس بيد إنسان تصافح، ثم حذف ذلك الإنسان ورمز إليه بشي من لوازمه (صافح) وذلك علي سبيل الاستعارة المكنية المجردة، والقرينة المانعة من إرادة المعني الأصلي هي قوله (صافحتني).

وقال في قصيدته"خواطر في الدعوة":

يزلزل خوف الله أركان قلبه ومن خوفه كل الطواغيت ترعد[2]

المعني: يصف الشاعر حال الداعية لله المثالي في تقواه لدرجة تخافه الجبابرة والطغاة لأن خوفه من ربه شديد.

---

[1] ديوان الشاعر٢٦

[2] ديوان الشاعر١٦

فقد شبه الشاعر التقوى بالزلزلة بجامع القوة المحركة للشيء في كلٍ منهما، ثم حذف المشبه به ورمز إليه بشي من لوازمه (يزلزل) على سبيل الاستعارة المكنية المجردة، والقرينة المانعة من إرادة المعني الأصلي (يزلزل).
وقال في قصيدته"إنها نبضاتك أمتي":

فانتظر يا وسام إطلال عيدي زاهياً كاسياً ربوعي ائتلاقه

حينها الشعر بالنياشين يشدو يمتطي نحو كل أفق براقه[1]

المعني: أعرب الشاعر عن أجمل الأيام عنده، وهي تلك الأيام التي تتآخي فيها الشعوب المسلمة كلها وتصير أمة واحدة، حينها يطيب قرض الشعر في شتي المواضيع والأغراض. أما الاحتفاء به لأنه نال جائزة الإسيسكو الأدبية فهو مجرد واجب.

فقد شبه الشاعر الشعر بطائر حسن الصوت، ثم حذف ذلك الطائر وتناسى التشبيه ورمز إليه بشيء من لوازمه (يشدو) على سبيل الاستعارة المكنية المجردة بوصف المستعار له (يمتطي نحو كل أفق براقه) .

الاستعارة المكنية المطلقة:

وهي ما أطلقت عن التقييد بما يلائم أحد الطرفين. وتأتي في المرتبة الثانية بعد المجردة، ومن أمثلتها قوله في قصيدته"شاري الحزين":

قد مات صنوي في فيضٍ وفي دأبٍ ومَنْ كَلَلْت فلم ألحقه إحسانا[2]

يتحدث الشاعر على لسان النهر الذي افتقد نظيره الشاعر والفقيه(عباس محمد عبد الواحد) بعد وفاته، لأن الأخير كان متفوقاً على النهر عطاءً وإحساناً

[1] ديوان الشاعر٢
[2] ديوان الشاعر ص ١١٤

فقد شبه الشاعر النهر بإنسان بجامع التقصير في كلٍ منهما، ثم حذف ذلك الإنسان ورمز إليه بشي من لوازمه (كللت) على سبيل الاستعارة المكنية المطلقة.

وقال في قصيدته"لضفدع المغرور":

كم أعاني الشقاء في هذه الحـــــ ـــفرة حيث الطموحُ يبقى غريقا[1]

المعنى: تحدث الشاعر على لسان ضفدع مغرور يشتكي دائماً البقاء في القيعان، وطمع في العيش بين الناس.

فقد شبه الطموح بإنسان يغرق بجامع الاختفاء في كل منهما، ثم حذف المشبه به ورمز إليه بشي من لوازمه (غريق) على سبيل الاستعارة المكنية المطلقة عن التقييد.

وقال في قصيدته"كفالة اليتيم":

هاهم أولاء انبروا يهدون أمتنـــــا للحق كلٌ على المنهاج مُنطلـــــق

قد زُيّن المجلس الأعلى بهم فلهم فضل الرِّيادة في الميدان ما سبقوا[2]

فالشاعر يمدح موظفي رابطة العالم الإسلامي ويصفهم بأنهم يوجهون الناس توجيهاً سديداً، وكانوا يساعدون المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ولهم في ذلك الفضل الأول.

فقد شبه المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بإنسان يُزيَّن بجامع الزينة في كلٍ منهما ثم حذف ذلك الإنسان ورمز إليه بشيء من لوازمه (زُين)على سبيل الاستعارة المكنية المطلقة.

وقال في قصيدته"مكة الخير:

هو الخير من أرجاء مكة ينبع وشمس الهدى من ذلك الأفق تسطع[3]

---

[1] ديوان الشاعر ص١٣٢
[2] ديوان الشاعر ص٥٣
[3] ديوان الشاعر ص ٦٧

المعنى: يمدح الشاعر مؤسسة مكة الخيرية لأنها تنتمي إلى بلد الوحي والهدى (مكة المكرمة) التي فيها كل خير،.

شبه الشاعر عمل المؤسسة الخيرية بالماء بجامع النفع بينهما، ثم حذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه "ينبع" لأن النبع من صفات الماء الذي فيه الخير وذلك على سبيل الاستعارة المكنية المطلقة.

وقال في قصيدته "كفالة اليتيم":

أُمّاه قولي أين سار فإنني ماض إليه فقد جفتني الدار[1]

المعني: سأل اليتيم أُمّه عن أبيه الذي افتقده زمناً طويلاً؛ و قد تغيرت أحواله من سيء إلي أسوأ.

فقد شبه الشاعر الدار بإنسان يجفو، بجامع النفور والابتعاد، ثم حذف المشبه به ورمز له بشيء من لوازمه وهو (الجفاء) وذلك علي سبيل الاستعارة المكنية المطلقة

وقال في قصيدته"بشائر الأمل":

والمجد يرمقكم فلتعل رايتكم في موكب بالهدى والعلم مزدان[2]

فقد شبه المجد بإنسان يرمق بجامع الرقابة في كل منهما،ثم لم يصف المستعار له ولا المستعار منه وذلك علي سبيل الاستعارة المكنية المطلقة.

ثالثاً: الاستعارة المكنية المرشحة، وهي ما ذكر معها من الوصف ما يلائم المستعار منه. وهي أقل الاستعارات وروداً في شعر حسب الله، ومن أمثلتها قوله في قصيدته "رسول السلام":

أشرقت شمسك المنيرة في الكــون فضمت أذيالها الظلماء[3]

يصف الشاعر البعثة النبوية الشريفة بعموم الهداية في كل مكان مما ترتب عليه اختفاء الظلم والجاهلية، وهي في ذلك أشبه بدحض الشمس للظلام.

---

[1] ديوان الشاعر ص ٩٧

[2] ديوان الشاعر،ص٢٣-٢٤

[3] ديوان الشاعر ص ٤

فقد شبه الشمس بحيوان رهيب له أذيال كثيرة، بجامع الانتشار في كلٍ منهما، بعدما تنوسي التشبيه وادُّعي دخول المشبه في جنس المشبه به، ثم قدر حذفه بدليل ذكر بعض خواصه(أذيالها) وذلك على سبيل الاستعارة المكنية المرشحة.

وقال في قصيدته"العربية لغتنا":

وا حسرتا وطني المحبوب مختنق عليه من ظلمات الجهل سربال[1]

فقد شبه وطنه بكائن حي مخنوق، ثم حذف ذلك الكائن الحي ورمز إليه بشيء من لوازمه"مختنق"ثم جاء بوصف يلاءم المستعار منه "عليه من ظلمات الجهل سربال" وذلك على سبيل الاستعارة المكنية المرشحة.

وقال في قصيدته"خواطر في الدعوة":

أنجترُّ أحقاداً تؤجَّج بيننا ومن حولنا الأعداء للحرب تحشد[2]

شبهت الأحقاد بجرة الحيوان، والجرة هي طعام الحيوان الذي يخرجه من جوفه ثم يرجعه، واشتق من الجرة الفعل نجتر على سبيل الاستعارة المكنية ثم جاء بوصف يلاءم المستعار منه " تؤجَّج بيننا " لترشيح الاستعارة.

وقال في قصيدته"رثاء مجلس الأمن":

كم كنتَ تحلم بالجنات تنشرها براقةً تكتسي أثواب تزيين

كم كنتَ ترسم أحلاماً تزخرفها قبل المعاد توشى بالرياحين[3]

شُبه مجلس الأمن بإنسان يرسم و يحلم، ثم حذف المشبه به ورُمز إليه بشيء من لوازمه"تحلم- ترسم" بجامع الأمل الجميل في كل منهما،ثم جيء بما يلائم المستعار منه " تزخرفها براقة تكتسي أثواب تزيين- تنشرها قبل المعاد توشى بالرياحين " وذلك على سبيل الاستعارة المكنية المرشحة.

---

[1] ديوان الشاعر،ص٨١
[2] ديوان الشاعر،ص١٧
[3] ديوان الشاعر،ص٥٩

الاستعارة التمثيلية: وهي ما كان المستعار فيها لفظاً مركباً انتزع من عدة أمور واستعمل في غير ما وضع له مع قرينة تمنع من ذكر المعنى الأصلي[1]، فهو حينما يقول في قصيدته"الحقيقة الخالدة"

فأنصـــتَ البحر حيناً ثم خاطبنـــي قد رُمتَ ما ليس من طبعي وتكويني
فـــيّ الأعاجيب لكن لا أَحسّ بها تحتي اللآلي والأدناس تعلونـــــــي
أرغـــي وأزبد لا أدري لزمجرتي معنىً ولا هدأتي بالبشر تكســـــوني[2]

فقد شبه البحر في البيت الأول بإنسان ثم حذف ذلك الإنسان ورمز إليه بشيء من لوازمه(أنصت–خاطب) وذلك على سبيل الاستعارة التمثيلية.أما في البيت الثاني فقد شبه البحر بإنسان لا حس له، وحذف ذلك الإنسان ورمز إليه بشيء من لوازمه (لا أحس) على سبيل الاستعارة التمثيلية أما في البيت الثالث فقد شبه البحر بجمل يرغي ويزبد ثم

حذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه(أرغي وأزبد) وفي كلٍ كانت الاستعارة مركبة مما جعل منها مثالاً لجلال قدرة الله وعظمته.

وقال في قصيدته"كف يا دمع":

يضحك الكون حين أرضى ويهمي دمعه حين تكفهر ســـمائي
ينبت العدل حين تخفق راياتـــي ويجلو دجى الضلال ضيائي

فقد شبه الكون بإنسان يضحك حيناً ويبكي حيناً آخر، ثم حذف ذلك الإنسان ورمز إليه بشيء من لوازمه(يضحك – يهمي دمعه) وفي البيت الثاني شبهت عدالة المسلمين حيناً بشجرة تنبت وحيناً آخر بشمس تضيء ثم حذف المشبه به ورمز إليه بشيء من

[1] البيان في ضوء أساليب القرآن، ص ١٩٠.وكذلك : علم البيان ص ١٩٢
[2] ديوان الشاعر ص ٢٩

لوازمه(ينبت–ضيائي) على سبيل الاستعارة المكنية التمثيلية.

وقال في قصيدته "رسول السلام":

أشرقت شمسك المنيرة في الكون فضمّت أذيالها الظلماء[1]

شُبهت البعثة النبوية بشمس ذات خيوط كثيرة تأخذ كل من يعترض طريقها من الظلام، ثم حذفت البعثة النبوية وادعي أنها فرد من أفراد الشمس وداخل في جنسه، وذلك على سبيل الاستعارة التمثيلية.

الاستعارة،الإحصاء والنسب :

نوع الاستعارة	التكرار	النسبة المئوية
(١)الاستعارة التصريحية	٥٠٥	%٧٥،٥٩
المجردة	٢١٥	%٧٤،٤١
المطلقة	١٦٨	%٣٣،٢٦
المرشحة	١٢٢	%٢٤،١٥
(٢)الاستعارة المكنية	١٦٣	%٢٤،٤٠
المجردة	١١٠	%٦٧،٤٨
المطلقة	٣٨	%٢٣،٣١
المرشحة	١٥	%٠٩،٢٠
الجملة	٦٦٨	**%١٠٠**

[1] ديوان الشاعر ص ٤

يوضح الجدول أعلاه بأن الشاعر حسب الله مهدي فضله قد أفاض من استخدام الاستعارة بشقيها التصريحية والمكنية، إلا أن نسبة الاستعارة التصريحية تتفوق على نسبة الاستعارة المكنية، كما أن نسبة المجردة في كلتا الاستعارتين هي المتفوقة على المطلقة والمرشحة.

و يلاحظ كذلك أن الشاعر حسب الله مهدي فضله كان يميل إلى استخدام الاستعارة التصريحية التبعية التي كان اللفظ المستعمل فيها فعلاً.

ويلاحظ كذلك غلبة التجريد في كلا الاستعارتين مما يدل على ميل الشاعر لوصف الصور القصيرة و القريبة التي لا تتجاوز حدود المألوف، لأن وصف المستعار له أسهل من وصف المستعار منه.

كل هذه النتائج تؤكد اتجاه الشاعر نحو الوضوح، لأنه يريد أن يصل إلى هدفه التعليمي الإعلامي بأقرب وسيلة، سواء أكان ذلك في التشبيه أو الاستعارة.

كما تؤكد لنا هذه النتائج أيضاً اتجاه الشاعر التقليدي الذي لم يخرج فيه عن تقاليد شعراء هذا الاتجاه قديماً وحديثاً.

الفصل الرابع:

المجاز المرسل وعلاقاته في شعر حسب الله مهدي فضلة

الفصل الرابع:
المجاز المرسل وعلاقاته في شعر حسب الله مهدي فضلة

المجاز المرسل:

"هو الكلمة المستعملة في غير ما هي موضوعة له بالتحقيق استعمالاً في الغير بالنسبة إلي نوع حقيقتها ، مع قرينة مانعة من إرادة معناها في ذلك النوع. [١]وأول من أطلق على هذا النوع مجازا مرسلا هو الخطيب القزويني ، وسبب ذلك : لأنه أرسل أي: أطلق عن التقييد بعلاقة واحدة، إذ له عدة علاقات، أو لأنه أرسل عن دعوى الاتحاد المطلوبة في الاستعارة، إذ ليست العلاقة فيه بين المعنيين المشابهة حتى يدعى اتحادهما." [٢] "والعلاقة هي الأمر الذي يقع به الارتباط بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي فيصح الانتقال من الأول إلى الثاني."[٣]

أما أهمية المجاز في اللغة العربية فهي: أنه يوسع اللغة، كما يساعد على الافتتان في التعبير، مما تدعو إليه المبالغة في المعني، والإيجاز في العبارة. و"المجاز أعم من حيث أن كل استعارة مجاز، وليس كل مجاز استعارة ".[٤]

وللمجاز مجموعة من العلاقات في شعر حسب الله مهدي فضله، على نحو ما رأينا في الجدول المرفق، وفيما يلي تفصيل الحديث عن كل علاقة منها:

أولا : المحلية :

وهي أكثر العلاقات وروداً في شعر حسب الله مهدي فضله ، حيث بلغت نسبتها ٥٢.٥٤% .

والمقصود بالمحلية هو أن يذكر الأديب في المجاز المرسل المحل ويريد به الحال . وذلك كقول الله تعالي : (وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا

---

[١] مفتاح العلوم ، ص ٣١٣

[٢] تلخيص المفتاح، ص١٥٠. وكذلك البيان في ضوء أساليب القرآن، ص ١٥٧

[٣] علم البيان، ص١٥٦

[٤] الجرجاني، أبوبكر عبد القاهر بن عبد الرحمن محمد، دلائل الإعجاز، القاهرة، بدون تاريخ، ص٤٦٢

لَصَادِقُونَ) [1] . ومن أمثلته في شعر حسب الله مهدي فضله قوله من قصيدته(الضفدع المغرور) :

أوَ عيني ألم تكن درة تجلو الدياجي ولا تضاهَى بريقا[2]

ثمّ حلْقي فهل رأوا مثله في عالم الفنّ والمزامير بوقا[3]

المعني : عبر الشاعر على لسان ضفدع مغرور صدمته سيارة نتيجة لغروره وكان هذا الضفدع يخاطب رفاقه الضفادع بأنه أحسنهم عيناً وأجملهم صوتاً .

ففي كلمة (حلقي) مجاز مرسل علاقته المحلية ، حيث أطلق الحلق ولكنه يريد به حسن الصوت.

وقال في قصيدته "نفحات ولفحات":

كشمير تصرخ والشيشان ثاكلة والقدس تشكو إلى المولى تناسينا[4]

أطلق الشاعر لفظ المحل وأراد به أهله في كل من كشمير والشيشان والقدس على سبيل المجاز المرسل الذي علاقته المحلية.

وقال في قصيدته "وقفة على آثار وارا":

ألم تكوني مناراً ساطعاً زمناً يمد إفريقيا بالعلم والأدب[5]

سأل الشاعر مدينة (وارا)عن حالها قبل الخراب حين كانت مكتظة بعلمائها الذين نشروا العلم والأدب في ربوع إفريقيا.ففي كلمة إفريقيا مجاز مرسل علاقته المحلية،حيث أطلق إفريقيا وأراد أهلها.

وقال في قصيدته "إلى شباب تشاد":

تشاد تريد منا أن نكونا حماةً لن نخاف ولن نلينا[6]

فقد أطلق كلمة تشاد الذي هو اسم لوطن يطلب من أبنائه أن يحموه بشجاعة وصلابة،وأراد بتلك الكلمة أهلها على سبيل المجاز المرسل الذي علاقته المحلية.

---

[1] سورة يوسف، الآية ٨٢
[2] ديوان الشاعر، ص١٢٣
[3] ديوان الشاعر،ص١٣٢
[4] ديوان الشاعر،ص٣٥
[5] ديوان الشاعر،ص٨٧
[6] ديوان الشاعر،ص٧٢

وقال في قصيدته "خواطر في الدعوة":

فمن للحيارى إنْ خبا النُّور بيننا ومن يصلح الدنيا إذا الملح يفسد[1]

يتساءل الشاعر عن مصير الناس إذا عدموا الدِّين في حياتهم لأنه ضروري ، ففي لفظة الدنيا مجاز مرسل علاقته المحلية لأنه أطلق الدنيا وأراد بها أهلها.

وقال في قصيدته " إلي شباب تشاد ":

إذا ما استغضبوا لبسوا الحديدا ولم يقعوا لمخلوق سجـــــودا

وأجدادٍ لنا كرهوا القيـــــودا شعــارهم : أمــوت ولا أبالي[2]

المعني : يصف الشاعر عنفوان التشاديين الأوائل الذين رفضوا الاستعمار وقاوموه مقاومة شرسة لأنه جاء بالاستعمار والنصرانية التي تخالف دينهم ، كما وصفهم كذلك بالشجاعة والإقبال دون الأدبار في البيت الثاني .

ففي كلمتي (قيود – وحديد) مجاز مرسل علاقته المحلية ، حيث أطلق الشاعر القيود وأراد حالها ، لأن كل من حل في القيد غشيه الذل والهوان . كما أطلق الحديد وأراد به حاله . لأن كل لبس الدرع استبسل للحرب . ويعلم ذلك بقرينة الاستحالة .

وقال في قصيدته" صفحة من الكفاح والصمود":

إذ ذاك أشرقت الأرجاء وانتعشت روح الهدى وهَمَا غيث وسلسال [3]

المعنى : إن الشيخ عليش محمد عووضة عندما قام بنشر العلم بين أبناء مجتمعه تغيرت أحوال الناس وعمّ الخير كل مكان .

ففي كلمة" أشرقت" مجاز مرسل ،علاقته المحلية ،لأن الإشراق حقيقةً هو ظهور الشمس من جهة الشرق ويلزم من ذلك ظهور ضوءها . والقرينة المانعة من إرادة المعنى الأصلي هي كلمة"الأرجاء"

وقال في قصيدته : (العربية لغتنا) ذاكراً المحل، مريداً به أهله :

تشاد بشراك إن الشمل ملتئم أبناؤك اجتمعوا والود ضمهم[4]

---

[1] ديوان الشاعر،ص١٧

[2] ديوان الشاعر،ص٧٣

[3] ديوان الشاعر،ص٨٢

[4] ديوان الشاعر،ص٧٤

ثانياً الجزئية:

وهي أن يستعمل الأديب على سبيل المجاز كلمة تحمل معنىً جزئياً ، ويريد منها الكل، مثل قوله تعالي (فَكُّ رَقَبَةٍ) [1] بمعني عتق إنسان بأكمله من العبودية . فأطلق الرقبة التي هي جزء من المعتوق ولكنه أراد الإنسان كله.

هذا النوع من علاقات المجاز المرسل يأتي في المرتبة الثانية في شعر حسب الله بعد المحلية ولذلك كانت نسبته ١٩.٦٠% .

ومن أمثلته قوله في قصيدته " نفحات ولفحات " :

أنعم بها من سويعاتٍ مباركة فيها نجدّد عهداً من تآخينا[2]

المعني : أثنى الشاعر على ذلك الملتقي الدعوي الإسلامي الذي قُرر انعقاده بانجمينا في محرم ١٤١٩هـ . وقال إنه من شدة حلاوته أصبح يُرى بأنه زمن قصير لما فيه من البركات وتجدد المحبة بين المسلمين .

فقد أطلق الشاعر كلمة (سويعات) على سبيل المجاز المرسل؛ ولكنه يريد بها أيام الملتقى كلها. بقرينة قوله (فيها نجدد عهداً من تآخينا) حيث لا يمكن تجديد عهد المؤاخاة بين الحاضرين في سويعات.

وقال في قصيدته"صفحة من الكفاح والصمود ":

هذي القلوب تلاقت فيك يغمرها فيض من الحب والإخلاص سيَّال[3]

المعني : يصف الشاعر اجتماع الناس في الاحتفال بمناسبة مرور خمسين عاماً على تأسيس معهد أم سويقو العلمي الإسلامي ، حيث كان الناس في حالة من البهجة والسرور .

ففي كلمة (قلوب) مجاز مرسل علاقته الجزئية، حيث أطلق الشاعر القلوب ولكنه أراد بها أهل تلك القلوب، ويعرف ذلك بقرينة الاستحالة إذ يستحيل تلاقي القلوب دون أصحابها. وهذا ما يسمي بالعلاقة الجزئية للمجاز المرسل.

---

[1] سورة البلد، الآية١٣

[2] ديوان الشاعر،ص٣٢

[3] ديوان الشاعر،ص٧٠

وقال في قصيدته "بشراك يا لغة القرآن ":

رسمية أنت في الدستور شامخـــــــــة من أين نال قبول الشعب لولاك ؟

سلي الكباكب والساطور هل قطـــعت عنك القلوب ؟ وكلّ الشعب يهواك[1]

سلي الفرنك أو التوظيف هل صـــــرفا عنك العقول وهل أغوى بإشراك

كلاّ اطمئني فإنّا أمة سجـــــــــــدت لله لـــيس(للامـــي أو لشيراك)[2]

المعني : يصف الشاعر صمود الناطقين بالعربية في تشاد لكل التحديات وعدم قبولهم بغيرها من اللغات إلى أن سُجلت لغة رسمية في الدستور التشادي ، ومن الممارسات القمعية التي مارسها المستعمر لصرف الناس عن اللغة العربية والدين الإسلامي : قتل العلماء بالساطور في مذبحة شهيرة تعرف بمذبحة الكبكب (وهو اسم للساطور بالفرنسية)عام ١٩١٧م . كما أنهم أغروا الناس بالتوظيف ليصرفوهم عنها وبالرغم من كل تلك المحاولات فقد باءت جهود المستعمر بالفشل؛ لأن إرادة الشعب لا تقهر .

ففي كلٍ من كلمتي (قلوب – وعقول) مجاز مرسل ، علاقته الجزئية حيث أطلق الجزء وأراد به الإنسان كله ، ويعلم ذلك بقرينة الاستحالة .

وقال في قصيدته " بشراك يا لغة القرآن":

ولتبق فيصل للإبداع رائدة للضاد حصناً وشمساً دون إحلاك [3]

المعنى : تمني الشاعر أن تظل جامعة الملك فيصل بانجمينا سبّاقة في العطاء العملي والأدبي لاسيما باللغة العربية .

ففي كلمة (ضاد) مجاز مرسل علاقته الجزئية ، حيث أطلق الجزء ولكنه اراد الكل(اللغة العربية).

وقال في قصيدته " في رياض العلم":

والرسل رُوّادٌ رعـــــوها غرساً وتشذيباً لتخضـــر

---

[1] ديوان الشاعر، ص٩٢

[2] الكباكب: جمع كبكب، معربة من الفرنسية: coupe coupe وهي تعني: آلة قطع حادة. والفرنك:عملة فرنسا وجزء كبير من مستعمراتها الإفريقية.أما لامي :فهو قائد الحملة الاستعمارية الفرنسية قتله رابح بن فضل الله سنة١٩٩٠م،في معركة شرسة بالحدود التشادية الكمرونية . أما شيراك: فهو رئيس فرنسي سابق حكم فرنسا في الفترة ما بين١٩٩٩-٢٠٠٧م

[3] ديوان الشاعر، ص١٧٠

حتى استوت تهـــــتزّ دوحاً قد مدَّ أغصاناً وأثمـــــر
فاصدح –أيا قلبي –وغــرد فالدوح بالألحان أنضر
ما ظللت يوماً بـــــــــلادا إلا غدت بالخير تزخر[1]

حدد الشاعر تظليل الدوح بيوم واحد على سبيل المجاز المرسل الذي علاقته الجزئية،حيث أطلق الجزء"يوماً" وأراد زمناً أطول من اليوم؛لأنه يستحيل أن تظلل شجرة يوماً واحداً فقط.

وقال في قصيدته "خواطر في الدعوة":

ألستم أطباء القلوب فإن يكن طبيب مريضاً كيف مرضاه ينقذ؟[2]

فقد أسند الطب إلى القلوب وأراد به الأجسام كلها على سبيل المجاز المرسل الذي علاقته الجزئية.ولو قال أطباء الروح لكان أنسب وأجمل لأن العلماء اشتهروا بمعالجة الأرواح وليس القلوب.

وقال في قصيدته "ملحمة الشيشان":

فتّت العدوان منا أضلعاً وبغارٍ من دمانا كللا[3]

أطلق الشاعر كلمة الأضلع وأراد بها الجسم كله على سبيل المجاز المرسل الذي علاقته الجزئية.

ثالثا : الحالّية :

والمقصود بالحالية أن يأتي الأديب على سبيل المجاز المرسل بصفة ويريد بها الموصوف نفسه. ومن ذلك قول الله تعالي (إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيم) [4] حيث أطلق النعيم وأراد به الجنة نفسها . إذ يستحيل حلول الإنسان في حال من الأحوال . فلابد من دخول الجنة ثم التنعم بنعيمها .

أما في شعر حسب الله فهي كثيرة و تأتي في المرتبة الثالثة بعد المحلية والجزئية، بنسبة ١٠.٥٨% .

---

١ ديوان الشاعر،ص١١٧-١١٨
٢ ديوان الشاعر،ص١٧
٣ ديوان الشاعر،ص٥٥
٤ سورة الانفطار، الآية ١٣، والمطففين الآية، ٢٢

منها قوله في قصيدته " ملحمة الشيشان" :

فاستشاط الكفر ألقى برقعا كم تخفّي خلفه كم ضلّلا [1]

المعني : إن حقد الكفار الشديد على المسلمين جعلهم يرمون الشيشان بأسلحة فتاكة، وهذا الحقد دفين فيهم كانوا يسعون دائما لتنفيذه وإن تظاهروا بصور السلم والرحمة .

ففي كلمة (الكفر) مجاز مرسل علاقته الحالية ، حيث أطلق الشاعر لفظ الكفر التي تعني صفة الجحود بالربوبية وأراد أصحاب هذه الصفة وهم الروس المحاربون للشيشان ، إذ يستحيل أن يحل شخص ما في معني من المعاني ، وبذلك صار مجازاً مرسلا علاقته الحالية .

وقال في قصيدته " وقفة علي آثار وارا " :

هذا الشموخ الذي لم يحْن هامته عصف الأعاصير في خصبٍ وفي جدب [2]

المعني : إن أطلال مدينة (وارا) الذي مازال قائماً رغم هبوب الرياح عليه أزمنة طويلة لدليل على عظمة ساكنيه آنذاك .

فالشاعر قد أطلق كلمة الشموخ والتي تعني العلا والارتفاع . وهذا المعني لا فائدة فيه دون أن يحدد موصوفه الذي هو القصر الذي كان فيه عز الملكة الشهيرة (فالشموخ) حال في القصر وساكنيه، واستعمل هنا مجازا أريد به أهله . وذلك من باب المجاز المرسل الذي علاقته الحالية.

وقال في نفس القصيدة :

غضّوا العيون فهذا موطن الأدب هذا الجلال الذي لم يُطو بالحقب[3]

المعني : استوقف الشاعر أصحابه وطلب منهم غض الطرف احتراماً لمملكة ودّاي التي تعد أطلال وارا رمزاً لها، وللأدب والعلم والسلطان .

ففي كلمة (الجلال) مجاز مرسل علاقته الحالية ، حيث أطلق الشاعر الحال وأراد به أهله .

---

[1] ديوان الشاعر، ص٥٥
[2] ديوان الشاعر، ص٨٥
[3] ديوان الشاعر،ص٨٥

وقال في نفس القصيدة:

الحق أبلج والبهتان في ظُلَمٍ والحق يعلو وعمر المَيْن كالحبب[1]

أعرب الشاعر على لسان عبد الكريم بن جامع الذي برهن لقومه بأن الإسلام هو الدين الصحيح، وما سواه فهو كذب زائل.ففي كلمة ظلم مجاز مرسل علاقته الحالية ، أطلق فيه الشاعر الحال وأراد به المحل.

رابعا : الكلية : ومعني العلاقة الكلية في المجاز المرسل هو : أن يطلق الأديب لفظة شاملة ولكنه يريد منها جزءا فقط ، ومن ذلك قول الله تعالى : (يَجْعَلُوْنَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم)[2] إذ يستحيل إدخال الإصبع كله في الأذن ، ولذلك أطلق الله سبحانه وتعالى الإصبع وأراد جزءاً منها ، على سبيل المجاز المرسل الذي علاقته الكلية. وهي في شعر حسب الله كثيرة الورود رغم تفوق المحلية والجزئية والحالية عليها . و تحتل هذه العلاقة المرتبة الرابعة بعد الحالية ، ونسبتها ٥.٤٩ %.

ومن أمثلتها في شعر حسب الله قوله في قصيدته" بشراك يا لغة القرآن" :

هاهم بضفة شاري نازلون لهم منك ائتلاف كشهبٍ فوق أفلاك[3]

المعني : يصف الشاعر الوفود المشاركة في الندوة العلمية الدولية التي نظمتها جامعة الملك فيصل بتشاد بالتعاون مع الجامعات الإسلامية بالقاهرة [4] بأنهم قد وصلوا لحضور الندوة، وكان مقر إقامتهم بفندق (شاري) الذي يُطلّ على نهر شاري بانجمينا؛ وقد جمعتهم وزينت لقاءهم هذا اللغة العربية . ففي كلمة (ضفة شاري) مجاز مرسل علاقته الكلية ، حيث أطلق الضفة كلها ولكن الوفود أقاموا في جزء منها . ويُعلم ذلك بقرينة الاستحالة إذ يستحيل على الوفود أن يقيموا أو ينزلوا على ضفة نهرٍ بأكمله.

---

[1] ديوان الشاعر،ص٨٥

[2] سورة البقرة ، الآية ١٩

[3] ديوان الشاعر،ص٩٠

[4] ديوان الشاعر ، ص ٨٨

وقال في قصيدته "كفالة اليتيم ":

لي ليلتان ألوك بعض بليلةٍ قد خالطت حبّاتها الأحجار[1]

المعنى: تحدث الشاعر على لسان يتيم جائع ، ومن شدة جوعه أنه لم يجد شيئاً يأكله غير(البليلة) وهي حبات من الدخن أو الذرة تبل بالماء ثم تؤكل ، وهذه البليلة نفسها قد امتزجت ببعض حبات الرمال فأعاقت مضغها .

ففي كلٍ من كلمتي (ليلتان – والأحجار) مجاز مرسل ،علاقته الكلية حيث أطلق الشاعر الليلتان ولكنه أراد بهما الجزء اليسير فقط . إذ يستحيل على المرء أن يستمر في مضغ شيء ما طوال ليلتين كاملتين .

كما أطلق الأحجار وأراد بها بعض حبات الرمال الممتزجة بالبليلة .

وقال في قصيدته "دمعة وفاء":

أيدري المسلمون بمن أُصيبوا إذن كثر البكا وعلا النحيب[2]

المعنى:إن موت العالم الشيخ (القوني صالح جامع) الذي درس القران الكريم زمناً طويلاً في مدينة أبشة قد كان فاجعةً لكل الذين يعرفونه، فبكوه بكاء شديداً، ومن بين تلاميذه الشاعر نفسه.

ففي كلمة (المسلمون) مجاز مرسل علاقته الكلية، حيث أطلق الشاعر المسلمون كلهم ولكنه أراد بذلك معارف العالم المتوفى فقط. ويعلم ذلك بقرينة الاستحالة، حيث يستحيل أن يبكي كل المسلمين لفقدان هذا الشيخ ،لأن ذلك لا يتأتى إلا ممن يعرفه.

خامساً: اللازمية : وهي أن يكون في الكلام لفظ وجوده وجود لشيء آخر، كقولك طلع الضوء صباحاً. فان وجود الضوء هنا يفترض وجود الشمس .

وهذا النوع من العلاقات يحتل المرتبة الخامسة في شعر حسب الله وكانت نسبته ٣,٩٢% ومن أمثلته في شعره قوله في قصيدته "كف يا دمع ":

ينبت العدل حين تخفق راياتي ويجلو دجى الضلال ضيائي[3]

---

[1] ديوان الشاعر،ص٩٥

[2] ديوان الشاعر،ص١٠٨

[3] ديوان الشاعر،ص٤٢

المعنى : أعرب الشاعر عن حال المسلمين الأوائل الذين عاشوا حياة سعيدة مليئة بالعدل والخير والهدى، لأنهم ساروا على نهج الإسلام الصحيح .

ففي كلمة (دجى) مجاز مرسل علاقته اللازمية .إذ يلزم من وجود الظلام وجود الليل، والقرينة المانعة من إرادة المعنى الأصلي هي كلمة (ضلال)

وقال في قصيدته "نفحات ونفحات ":

هل يستطيع الدجى صدّ الصباح وقد عمّت بشائره الآفاق تزيينا[1]

المعنى: يتساءل الشاعر عن دور الكفار الفاشل في دحر انتشار الإسلام بين الناس لأن ظهور الإسلام أشبه بظهور الشمس الذي يجتث الظلام من أصلة .

ففي كلمتي (الصباح – والدجى) مجاز مرسل علاقتهما اللازمية، حيث يترتب على ظهور الصباح ظهور ضوء النهار، كما يترتب على ظهور الدجى ظهور الليل معه، والقرينة المانعة من إرادة المعنى الأصلي هي قوله (وقد عمت بشائره الآفاق) .

سادساً السببية: وهي أن يذكر في الكلام السبب ويقصد المسبب ومن ذلك قول المتنبئ

له أياد عليّ سابغة أُعدّ منها ولا أعددها

فقد استعمل هنا لفظة (أياد) وهي سبب النعمة وأراد بها ما تسببه أي النعم وهذا النوع من علاقات المجاز المرسل هو أقل شيوعاً من اللازمية ويأتي في المرتبة السادسة بنسبة ٣,٥٢% ومن أمثلته في شعر حسب الله قوله في قصيدته "من أئمة الهدى":

تزاحم فيه القاصدون فبعضهم يروم الهدى والبعض ينتظر الغنى

لكلٍ هوىً يصبو إليه وكلهم على يد شيخي نال ما نال من منى[2]

أطلق الشاعر يد الشيخ على سبيل المجاز المرسل الذي علاقته السببية، لأنها تكون دائماً سبباً في العطاء.

وقال كذلك في قصيدته "نفحات ولفحات":

---

[1] ديوان الشاعر،ص٣٤

[2] ديوان الشاعر،ص١٠٦

في كل عضوٍ جراحٌ لا نضمّدها حتى نُصابَ بجرحٍ من أيادينا[1]

حيث أطلق الأيادي على سبيل المجاز المرسل الذي علاقته السببية،لأنها كانت سبباً في التأذي.

سابعاً: الآلية: وهي العلاقة التي تُذكر فيها الآلة ويُقصد ما ينتج عنها، كقوله تعالي: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ)[2] أي: بلغة قومه[3].

وهي قليلة في شعر حسب الله، وتحتل المرتبة السابعة بعد السببية، ونسبتها ١.٧٦%.

ومن أمثلتها في شعره قوله في قصيدة "العربية لغتنا":

فيا لساناً به الإسلام أنقذنا من ربقة الشرك وانجابت به الظُّلَمُ[4]

المعني: أن اللغة العربية هي لغة القرآن والإسلام الذي أخرج الناس من عبادة الأوثان إلي نور الهدي واليقين.

ففي كلمة "لسان" مجاز مرسل علاقته الآلية، حيث أستعمل الشاعر اللسان وأراد به اللغة العربية، والقرينة هي الكلام الذي جاء بعده.

وقال كذلك في قصيدته "نفحات ولفحات":

لكنْ لشيخي أبي العباس منزلة في القلب ميزانها يعلو ويعلينا[5]

المعنى: أن الشاعر صوفي تيجاني. استثنى منزلة شيخه (أحمد التيجاني) من بين منازل الأحباب في قلبه، وقال إن درجة حبه تزداد كل يوم في القلب فيزداد المحب بها قرباً.

---

[1] ديوان الشاعر،ص٣٥
[2] سورة إبراهيم، الآية ٨٤
[3] علم البيان بين النظريات والأصول، ص ١٧١
[4] ديوان الشاعر،ص ٧٩
[5] ديوان الشاعر،ص٣٦

ففي كلمة (ميزان) مجاز مرسل علاقته الآلية، حيث أطلق الشاعر اسم الآلة وأراد ما ينتج عن الميزان من الزيادة في حب الشيخ، والقرينة المانعة من إرادة المعني الحقيقي قوله (يعلينا).

وقال في قصيدته "خواطر في ذكري غزوة بدر":

وأعقبهم جند الهداية مسلطاً عليهم سيوف البتر والأسر والقتل[1]

المعنى: أن المسلمين قد هزموا كفار قريش في معركة بدر، فجُرح منهم من جُرح، وأُسر منهم من أُسر، وقُتل منهم من قتل.

ففي كلمة (سيوف) مجاز مرسل علاقته الآلية، حيث أطلق الشاعر اسم الآلة وأراد به نتائج تلك الآلة من الجرح والموت، والقرينة تفهم مما بعد لفظة السيوف.

وقال في قصيدته "رسول السلام":

هل يطيق اللسان حصر مزايا أثبتتها الأعداء والأصدقاء[2]

المعنى أن اللغة قاصرة عن وصف مناقب الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) لاسيما وأن الأعداء والأصدقاء كلهم متفقون على ثبوت تلك المناقب .

ففي كلمة (لسان) مجاز مرسل علاقته الآلية ، حيث أطلق الشاعر اللسان ولكنه أراد به اللغة التي تنتج عن اللسان ،لأنه آلة النطق. والقرينة المانعة من إرادة المعنى الحقيقي هي ما جاء بعد بعدها .

ثامناً : المسببية، وهي أن يذكر في الكلام المسبب ويقصد السبب وذلك كقوله تعالى: (وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقاً) [3]. فقد ذكر الرزق والمقصود مطراً يسبب الرزق[4].

وتأتي هذه العلاقة في المرتبة الثامنة بعد الآلية، ونسبتها في شعر حسب الله ١.٥٦% . مما يدل على قلة ورودها في شعره. ومن أمثلتها قوله في قصيدته "أبكي مع السحاب":

---

[1] ديوان الشاعر،ص٢١

[2] ديوان الشاعر،ص٤

[3] سورة غافر، جزء من الآية ١٣ .

[4] علم البيان بين النظريات والأصول ، ص١٧٠ .

تذوب لكي تكون لهم حياة فتجزى بالشّتائم و الهجاء

المعني: أن السحاب قد ينزل منه المطر فتنبت من المطر البذور التي تكبر فتعطي حبوباً وثماراً يحيا بها الناس.

ففي قوله (تكون لهم حياة) مجاز مرسل علاقته المسببية، لأن نزول المطر ينبت الزرع الذي فيه حياة للناس.

وقال في قصيدته "على ضفاف نهر النيجر":

فبُشرى (ساي) بل بشرى لقـــومٍ تلقّوا علمه ، وبه أفـــــــــادوا

وبشـــرانا بجمع ذي ائتـــلاف بنور شموسه انزاح الســـــواد[1]

المعنى : استبشر الشاعر فرحاً بالعلم الوفير الذي قدمه الأستاذ (عبد العلي الود غيري) [2] واستفاد منه الناس وأفادوا به، واستبشر كذلك بالندوة التي نظمتها الجامعة الإسلامية بالنيجر ، ووصف تلك الندوة بأنها مفيدة .

ففي كلمة (شموس) مجاز مرسل علاقته المسببية، لأن الشموس مسببة للنور، والقرينة المانعة من إرادة هذا المعني الضمير المتصل بالشموس والذي يعود إلي الائتلاف ، لأن الائتلاف لا شمس له .

[1] ديوان الشاعر،ص٤٩

[2] عبد العلي الود غيري ، رئيس الجامعة الإسلامية بالنيجر التي مقرها بمدينة (ساي) .

إحصاء ونسب علاقات المجاز المرسل :

نوع العلاقة	التكرار	النسبة المئوية
المحلية	٢٦٨	%٥٣،٠٦
الجزئية	١٠٠	%١٩،٨٠
الحالية	٥٤	%١٠،٦٩
الكلية	٢٨	%٥،٥٤
اللازمية	٢٠	%٩،٩٦
السببية	١٨	%٣،٥٦
الآلية	٩	%١،٧٨
المسببية	٨	%١،٥٨
الجملة	**٥٠٥**	**%١٠٠**

يتضح من خلال الجدول أعلاه أن نسبة العلاقة المحلية هي الأكثر وروداً في شعر حسب الله مهدي فضلة، ثم تليها الجزئية فالحالية، ثم الكلية، فاللازمية، ثم الآلية، ثم المسببية، كما يتضح كذلك أنّ نسبة العلاقة باعتبار ما يكون هي أقل العلاقات وروداً. مما يؤكد اتجاه الشاعر نحو الوضوح والإيجاز، وهذا دليل آخر على اتجاهه التقليدي الكلاسيكي.

الفصل الخامس:
الكناية في شعر حسب الله مهدي فضلة

المبحث الأول: الكناية عن صفة

المبحث الثاني: الكناية عن موصوف

المبحث الثالث: الكناية عن نسبة

الفصل الخامس:

الكناية في شعر حسب الله مهدي فضلة

مفهوم الكناية:

الكناية لغة: " الستر، تكنى أي تستر. من كنى إذا ورى "[1].

واصطلاحا: " فهي كل لفظة دلت على معنى يجوز حمله على جنبي الحقيقة والمجاز، بوصف جامع بين الحقيقة والمجاز، والدليل على ذلك أن أصل الوضع أن تتكلم بشيء وتريد غيره"[2]، ويعرفها ياقوت الحموي فيقول: "الكناية هي الأرداف بعينه عند علماء البيان... والكناية هي أن يريد المرء إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة؛ ولكن يجئ إلى معنى هو ردفه في الوجود فيومي إليه، ويجعله دليلا عليه، مثال ذلك قولهم: طويل النجاد، كثير الرماد، يعنون بذلك أنه طويل القامة كثير القرى، فلم يذكر المراد بذكره الخاص به، ولكن توصلوا إليه بمعنى آخر هو رديفه في الوجود، ألا ترى أن القامة إذا طالت طال النجاد، وإذا كثر القرى كثر الرماد "[3].

أما عند السكاكي فهي: " ترك التصريح بذكر الشيء إلى ما يلزمه لينتقل من المذكور إلى المتروك"[4]، أي أن الكناية لفظ أطلق وأريد به لازم معناه وهي فن من التعبير توخّاه العرب استكثارا للألفاظ التي تؤدي ما يقصد من المعاني، وبها يتفننون في الأساليب، ويزينون ضروب التعبير ويكثرون من أوجه الدلالة "[5] وليس معنى ذلك أن المرء إذا كنى عن المعاني زاد في ذاتها شيئا؛ بل إنه ردّد في إثباتها فجعلها أبلغ وآكد وأشد[6].

---

[1] لسان العرب، لابن منظور، جـ: ١، مادة: "كنى "،ص: ١٤٧.

٢ قدامة بن جعفر،نقد الشعر،تحقيق كمال مصطفى، الطبعة الثانية،مصر،مكتبة الخا نجي.

٣ الحموي، ابن حجة الحموي، خزانة الأدب وغاية الأرب،الطبعة الأولى، بيروت، مكتبة الهلال،سنة ١٩٨٧م، ص:٢٦٣.

٤ مفتاح العلوم، ص: ٣٤٧

٥ أحمد مصطفى المراغي، علوم البلاغة،البيان والمعاني والبديع، ط٢، بيروت،لبنان،دار الكتب العلمية،١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، ص:٢٠٨.

٦ الجرجاني عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تعليق محمود محمد شاكر،القاهرة، مطبعة المدني، ص: ١٠٥.

وللكناية دور حيوي في التعبير الأدبي، ووظيفتها أنها ترتبط كثيراً بالإقناع العقلي وإثبات الصفة بإثبات دليلها، فهي أقرب إلى الحجاج العقلي من التعبير الوجداني، فالكناية بنت الفكر بينما التشبيه والاستعارة من بنات الوجدان[١].

كما أنها مظهر من مظاهر البلاغة، وغاية لا يصل إليها إلا من لطف طبعه، وصفت قريحته، والسرّ في بلاغتها أنها تعطيك الحقيقة مصحوبة بدليلها، والقضية في طيّاتها برهانها...وهي تضع لك المعاني في صور محسوسات، كما أنها تمكنك من أن تشفي غليلك من خصمك من غير أن تجعل له إليك سبيلا، ودون أن تخدش وجه الأدب[٢].

ومن أحسن الكناية أن يأتي عن طريقها المبالغة في الوصف، لأن للتعبير بالردف أو التابع من القوة والحسن ما ليس في اللفظ الموضوع، فهي أفصح من التصريح وأجمل من الإفصاح[٣].

وأجود أنواعها وأبلغها ما كني فيها عن اللفظ القبيح باللفظ الحسن، والمعجز في ذلك قول الله تعالي: ﴿ كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ ﴾[٤] كناية عما يكون عنه من حاجة الإنسان،[٥] وقوله تعالى: ﴿ وَقَدۡ أَفۡضَىٰ بَعۡضُكُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ﴾[٦]يريد ما سيكون بين الزوجين.

وتدور دراسة هذا الفصل حول ثلاثة مباحث: كناية عن صفة، وكناية عن موصوف، وكناية عن نسبة. وفي إطار كل مبحث سنناقش الكناية باعتبار الوسائط أي: لوازمها التي يتنقل الذهن عبرها إلى الكناية المطلوبة وهي: (التعريض، والتلويح والرمز، والإشارة) [٧]

---

١ التشبيه والكناية بين التنظير البلاغي والتوظيف الفني، لعبد الفتاح عثمان ص:١٧٣.
٢ جواهر البلاغة ، للسيد أحمد الهاشمي، ص: ٢٧٧.
٣ علم البيان. ص: ٢٠٥.
٤ سورة المائدة، الآية ٧٥.
٥ ابن رشيق ،أبي الحسن بن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، بيروت لبنان،دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة، ط ٥، ١٤٠١هـ١٩٨١م،ص٢٦٨
٦ سورة النساء، الآية ٢١.
٧ تلخيص المفتاح، للقزويني، ص١٦٨

الكناية: الإحصاء والنسبة

نوع الكناية	التكرار	النسبة المئوية
الكناية عن صفة	٤٠	%٤٤,٤٤
الكناية عن موصوف	٣٢	%٣٥,٥٥
الكناية عن نسبة	١٨	%٢٠,٠٠
الجملة	**٩٠**	**%١٠٠**

يتضح من خلال الجدول أعلاه أن نسبة الكناية عن صفة هي الغالبة، حيث احتلّت المرتبة الأولى بنسبة ٤٤,٤٤% ثم تأتي بعدها في المرتبة الثانية الكناية عن موصوف بنسبة ٣٥,٥٥%، وأخيرا تأتي الكناية عن نسبة بنسبة ٢٠,٠٠%.

ويلاحظ أن الشاعر حسب الله مهدي فضلة قد استخدم كل أنواع الكناية العربية في شعره مقدماً التلويح، ثم الإشارة، ثم الرمز، أما التعريض فهو أقلها استخداماً؛ مما يدل على نزوعه نحو الأسلوب العفيف حتى لا يصادم غيره.

ففي كل نوع من أنواع هذه الكنايات كان الشاعر يتحاشى الذكر المباشر طلباً للسلامة وتحاشياً للاصطدام.

ومن خلال هذه التحليلات المختلفة على مستويات الأسلوب البياني لدى الشاعر يمكن القول باطمئنان بأنه ينتمي إلى الاتجاه التقليدي المحافظ بشكل واضح، ولا يميل إلى الاتجاهات الأخرى المخالفة لهذا الاتجاه.

المبحث الأول الكناية عن صفة:

وهي:"طلب نفس الصفة"[1]، أي: "أن تذكر الموصوف وتستر الصفة مع أنها هي المقصودة، والموصوف هو الملزوم الذي تلزم عنه الصفة، أو تلازمه ومنه تنتقل إليها"[2].وقد استخدم الشاعر هنا التلويح ثم الإشارة ثم الرمز.

أولاً: التلويح، وهي كناية كثرت فيها الوسائط. وتحتل المرتبة الأولى في شعر حسب الله، ومن أمثلتها قوله في قصيدته"إلى شباب تشاد":

وأجدادٍ لنـــا كرهوا القيـــودا ولم يقعوا لمخلــوقٍ سجــودا

إذا ما استغضبوا لبسوا الحديد شعــارهم أموت ولا أبــالي[3]

فقد كنّى عن الحرية بكراهة القيود،حيث ينتقل الذهن من القيود إلى أسر المقيّد، ومن ثم إلى تعذيبه لإذلاله، ثم إلى تكبيله بالقيود. كما كنى عن الأنفة بعدم السجود،لأن الذهن ينتقل من السجود إلى انبهار الساجد بالموقف، ثم إلى انكساره فيقع ساجداً، وكنّى للبسالة بلبس الحديد، حيث ينتقل الذهن من لبس الحديد إلى صناعته، ومن ثم إلى حرب منتظرة، ثم إلى لبسه.

وقال في قصيدته"رسول السلام":

حقه في الوجود أن يُستمد النهج من شرعه ويُرسى القضاء

لم يُرد للعباد عيش مطايا تمتطيها الأوهام والأهـــــواء[4]

فقد كنّى عن الجاهليّة والهمجيّة بعيش المطايا.لأن الذهن ينتقل من عيشها إلى عربدتها ومن ثم إلى الفوضى الذي تسببه.

وقال في قصيدته"في آفاق القرآن":

سائلي التاريخ عن إعجــازه واكشفي المكنــون من أنبائه

نقّبــي في قاعــه عن أمةٍ عدّهــا التــاريخ من أقذائــه[5]

---

١ مفتاح العلوم، للسكاكي، ص٣٤٨

٢ فكتور الكك/ أسعد أحمد علي، صناعة الكتابة، الطبعة الرابعة، دار السؤال، دمشق، سنة ١٤٠١هـ- ١٩٨١م، ص:٣٥٣.

٣ ديوان الشاعر،ص٧٣

٤ ديوان الشاعر،ص٦

٥ ديوان الشاعر،ص١١

خاطب الشاعر روحه وطلب منها أن تسأل التاريخ عن معجزات القرآن الكريم الكثيرة والعجيبة، ثم طلب منها مرةً أخرى أن تبحث عن العرب قبل الإسلام الذين كانوا في الجاهلية البغيضة فأنقذهم الإسلام منها، فقد كنّى عن الجاهلية بالأقذاء تلويحاً.

وقال في قصيدته " إلى شباب تشاد ":

شباب تشاد هيّا للمعـــــــالي وجدّوا مخلصين بلا كـــــلال

وغوصوا البحر في طلب اللآلي فمن طلب العلا سهر الليالي[1]

فقد لوّح عن طلب الفوائد (بطلب اللآلي) حيث يترتب على طلبها التعب والخطر، وكنى عن الاجتهاد بـــ(سهر الليالي)لأنه يترتب على سهر الليالي عدم النوم، كما يترتب على عدم النوم الأرق والتعب، كل ذلك على سبيل الكناية عن صفة.

وقال في قصيدته " مكة الخير":

أتنساهم والوصل جارٍ ميســـــر ونبكيهم إذ لا يُفيد التوجـــــــع

هناك انبرى قومٌ غيارى لدينهم تباروا إلى جنات عدنٍ وأسرعوا

أفاضوا على الأيتام خيراً ونعمة فأنسوهم الأحزان إذ جفّ مَدمع

ومدّوا على المحتاج ستراً فلم يُرَق له ماء وجهٍ أو يرى فيه مدقع[2]

فقد كنّى عن الغنى واليسر بـــ (الوصل) وكنى عن الموت بقوله: (لا يفيد التوجع) كما كنّى عن الإحسان بقوله: (تباروا إلى جنات عدن)) وعن الفرح بقوله (جف مدمع) وعن الكرم بـــ (الستر) وعن الإهانة بـــ(إراقة ماء الوجه) كل ذلك على سبيل الكناية عن الصفة تلويحاً.

وقال في قصيدته **(مكة الخير)**:

فأشـــرق نـــور الله فيـــها وأرسلت أشعتهـــا تهدي وتشفي وتنفـــع

فطـــوبى لعبدٍ مستضيء بنـــورهـــا وطوبى لمن منهاجها الحق يتبع[3]

---

[1] ديوان الشاعر،ص٧٢

[2] ديوان الشاعر،ص٦٩

[3] ديوان الشاعر،ص٦٧

فقد كنّى في البيت الأول عن الهداية والإيمان بالإشراق، وكنّى في البيت الثاني عن الفوز بطوبى.

ثانياً: الإشارة أو الإيماء، وهي كناية قلّت وسائطها ووضحت لوازمها من غير تعريض.[1] وأجمل هذه الأنواع وأبلغها قول الله تعالى: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا [2]﴾ فالغل إلى العنق كناية عن البخل، وفي الكناية تصوير محسوس لهذه الصفة الذميمة في صورة منفِّرة. والبسط كناية عن الإسراف والتبذير وهو تصوير له بصورة ملموسة تجعل المعنى قويا ومؤثرا.

وهي كثيرة في شعر حسب الله، وتأتي في المرتبة الثانية، ومن أمثلتها قوله في قصيدته "صفحة من الكفاح والصمود ":

فاغتاظ مستعمرو الأوطان والتهـــــبت أحقادهم فلها في الجوف إشعـــال
واستمسك الناس بالقرآن واعتصـــــموا رغم العدى وتلاشى القيل والقال[3]
حاكوا الدسائس حول الشيـــخ فانتشرت منهم عليـــــه كلاليبٌ وأحبـــال
لكنْ مضى الشيخ سيفاً دونه سقطـــــت نُبل الضلال وفلّت عنه أنصـــــال

فقد أشار الشاعر إلى حقد المستعمر بالالتهاب والإشعال، والمؤامرات بالكلاليب والحبال، كما وصف تصدّي الشيخ ومواجهته لتلك المؤامرات التي أشار إليها بالنبل والأنصال، ووصف جديّة الناس وتمسكهم بكتاب الله، كما أشار إلى الإشاعات بالقيل والقال. وقال في قصيدته " العربية لغتنا":

فالضاد كالبحر يروي كل ذي ظمإٍ وفيـــه للغائص الياقوت والتُّوم[4]

فقد كنى فيـــه عن فوائد اللغـــــة العربيـــة بالياقـــوت والتُّوَم.

وقال في قصيدته " **رثاء مجلس الأمن** ":

كم هزّ أفئدة الأعضاء مجـــــــزرة دارت على شعب بوسنا أو فلسطين

---

[1] علوم البلاغة، البيان والمعاني والبديع ،ص: ٣٠٦.
[2] سورة الإسراء، الآية ٢٩
٣ ديوان الشاعر،ص٨٢
٤ ديوان الشاعر،ص٧٨

من فوقهم شهر ((الڤيتو)) فثمَّ ترى دمع التماسيح في جسم الثعـــابين[1]

فقد كنّى عن النفاق في التعامل مع القضايا الإسلامية والعربية داخل مجلس الأمن بدمع التماسيح.

وقال في قصيدته " **العربية لغتنا**":

صاحوا بجمعهم لا للحروب ولا للظلم إنّا بحبل الله نعتصم[2]

فقد كنّى عن وحدة الصف بالاعتصام بحبل الله.

وقال في قصيدته "كفالة اليتيم":

لا الغل ينفث في القلوب سمومه لا في اليدين يعشعش الإقتار[3]

حيث كنّى عن الفقر الشديد بـــ(يعشعش الإقتار)

ثالثاً: الرمز، وهي كناية قلت وسائطها، وخفي معناها بلا تعريض. وتأتي في المرتبة الثالثة في شعر حسب الله، ومن ذلك قوله قي قصيدته "رثاء مجلس الأمن ":

غطّى على قلبه الدولار حين بكـــى طفل العـــراق فأمسى فاقد الليـن

من فوقهم شُهِّرَ ((الڤيتو)) فثمّ ترى دمـــع التماسيح في جسم الثعابين

إثمُ القرار بـــه وحدي أبوء بـــــه يُملى وينسخ في سرداب صهيون[4]

فقد رمز الشاعر للرشوة بالدولار، كما أشار سابقاً لنفاق الماكرين بدمع التماسيح، لأنّ أعضاء مجلس الأمن يعرفون حقائق العالم ومآسيه.

ومنه قوله في قصيدته "شاري الحزين":

شتان بين نُهيْرٍ في الثَّرى، وفتى خفّاقةٌ روحه لم تحو أَدْرانا

مالي سوى لثم أطراف له فعسى يوماً يخلدنا التاريخ إخوانا[5]

فقد رمز الشاعر لغسل الميت بـــ(لثم أطراف) متحدثاً على لسان نهر شاري المحتار من موت الشاعر عباس محمد عبد الواحد، وهو معنى خفي.

---

١ ديوان الشاعر،ص٦١
٢ ديوان الشاعر،ص٧٤
٣ ديوان الشاعر،ص٩٨
٤ ديوان الشاعر،ص٦١-٦٢
٥ ديوان الشاعر،ص١١٤

المبحث الثاني : الكناية عن موصوف

وهي" أن تذكر الصفة وتريد الموصوف، ولا بد أن تكون الصفة من خصائص الموصوف المحذوف"[1].

والقرآن الكريم مليء بمثل هذه الكنايات ومنها قوله تعالى: ﴿ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾[2]

فـــجملة (شديد القوى) هو جبريل - عليه السلام- وهي كناية عن موصوف.

والشاعر حسب الله قد أكثر من استعمال هذا النوع من الكنايات لدرجة جعلت هذا النوع يحتل المرتبة الثانية بعد الكناية عن صفة. أما من حيث الوسائط فقد أكثر الشاعر من استخدام التلويح، ثم الإشارة، فالرمز، والتعريض.

أولاً:التلويح،هي كناية كثرت فيها الوسائط. وهذا النوع هو أكثر أنواع الكنايات استعمالاً، ومنه هذا المقطع من قصيدته" شاري الحزين ":

لا تَرْمِيَنِّي بنسيان الحبيـــب إذا ... جـــازته دولتكم جحداً ونسيانـا

ولا تخلْني أمحـــو مـــا بناه إذا ... ما رام بعضٌ له محواً وذوبانا

هـل ذنبـــه أنّـــه وافٍ لأمتـــه ... إذ شاد للضـــاد والإسلام بنيانـا

أو ذنبـــه أنـّه بالحق معتصـــم ... لم يبغ زيفاً ولم يستجد طغيانـا

أو ذنبه أنّه قد عاش في زمـــن ... يجزي الجهول نياشيناً وتيجانا[3]

فقد كنى عن جهود الأستاذ الفقيه والشاعر الراحل عباس محمد عبد الواحد وإنجازاته العلمية الكثيرة بقوله:"شاد للضاد والإسلام بنيانا"،إذ يلزم من تشييده للبناء حنكته، ثم تعبه وصبره.

وقال في قصيدته " ملحة الشيشان ":

مجلس الأمن رأى فيما ادّعى ... ما الكرملين بقومي أنـــــزلا

ثم أقعى في خمول لا هيـــــاً ... مغمضاً عيناً ورأساً نكّســـــا

قال: ذي القتلى رعايا روسيا ... مركبُ الإرهاب فيهم قد رسا

---

١ مفتاح العلوم للسكاكي، ص: ٤٠٤. وانظر كذلك : فضل حسن عبد الله، البلاغة فنونها وأفنانها، البيان والبديع ، الطبعة الأولى، الأردن، دار الفرقان، سنة ٢٠٠٥م، ص: ٢٠٥، و

٢ سورة النجم الآية ٥

٣ ديوان الشاعر،ص١١٥

فلْتؤدّب من تراه العاصيـــا ولْتطهّر من تراه استنجســا
إن سرَتْ فيهم سموم الكيمياء حينها للشجب ندعو المجلسا
هكذا الأعداء تزجي عاريـــا منطق الحقد الذي قد أفلســا
كيف ساروا نحو أقصى آسيا أم بنو تيمور أغلى أنفســـا[1]

فقد كنّى تلويحاً في البيت الثاني عن عدم مبالاة مجلس الأمن بقتلى الشيشان بقوله:" أقعى في خمول لاهيا" وعن رضاه بما يجرى بقوله: "مغمضا عينا" كما لوّح عن أعضاء مجلس الأمن" بالشجب" ولوح كذلك عن المجلس بقوله: "تزجي عاريا" أي لا برهان لهم في ذلك ولوح عن أعداء الأمة المسلمة "منطق الحق" وعن الروس "ببني تيمور".

و قال في قصيدته " كفالة اليتيم ":

يا ابنـــي أبوك مع النجــوم محلِّق يرنـــو إليـــك وكلّه أنظـــار
في العالـــم العلـــوي يســـكن منزلاً تشدو بـــه وترفرف الأطيـــار
مخضـــرة أشجـــاره دفاقـــــة أنهـــاره سكانه أطهـــــار[2]

فقد كنّى في البيت الثاني عن الجنّة بالعالم العُلوي، وكنى عن نعيمها بالشدو ورفرفة الأطيار، وفي البيت الثالث كنى عن دوام نعيم الجنة بخضرة الأشجار وتدفّق الأنهار، كما كنى عن سكان الجنة من المؤمنين بالأطهار كل ذلك كان تلويحاً.

و قال في قصيدته "حديث البدور":

فقد هيّجت يا ابن الشهب حزني نكأْتَ عليَّ جرحاً ليس يُدمل[3]

حيث كنى عن أخيه المفقود ذو المكانة المرموقة "بابن الشهب" إذ يترتب على كونه ابن الشهب كونه عالياً لامعاً ومرموقاً،وهذه كناية عن موصوف، مثلها قول الشاعر في مدح دار للعلوم:

وجدتْ بنتُ عدنان داراً ذكَّرتْها بداوة الأعراب[4]

فبنت عدنان كناية عن اللغة العربية ، وهي هنا موصوف.

---

١ ديوان الشاعر، ص٥٥-٥٦
٢ ديوان الشاعر، ص٩٧
٣ ديوان الشاعر، ص١٢٧
٤ علم البيان بين النظريات والأصول ، لديزيره سقال ، ص ١٧٩

و قال في قصيدته "كف يادمع" :

عدت أجري خلف السراب وحولي ينسج الحاقدون فخَّ فنائي[1]

فقد كنى عن الضال والضائع "بالجاري خلف السراب" لأن الذهن قد ينتقل من الجري وراء السراب إلى التعب، ومنه إلى خيبة الأمل.

و قال في قصيدته "كفالة اليتيم":

وحدي بقيت أنا أجرّع غصة في غصةٍ وبعيني استعبار[2]

فقد كنى عن المفارق المتألم بمتجرع الغصة، حيث ينتقل الذهن من تجرع الغصة إلى صعوبة الاستصاغة، ومن ثَم إلى الألم الناتج من ذلك.

وقال في قصيدته "رسول السلام":

ثم هدّت قواي أغلال أرض أرجعتني حيث الرُّؤى السوداء[3]

فقد كنى عن الجاهلية بالرؤى السوداء، لأن الذهن قد ينتقل من الرؤى السوداء إلى وجود ظلام، ومن ثم إلى اشمئزاز النفس من ذلك.

ثانياً:الإشارة أو الإيماء، وهي كما سبق كناية قلّت وسائطها ووضحت لوازمها من غير تعريض. وهي هنا كثيرة تأتي في المرتبة الثانية بعد التلويح. ومن أمثلتها قوله في قصيدته "نفحات ولفحات":

ها أمة المصطفى من بعد غفوتها هبت تلبي نداءً عنه أُلهينا[4]

حيث كنى عن دين الإسلام "بالنداء"، لأن الذهن قد ينتقل من النداء إلى الانتباه وهو من لوازم الدين الإسلامي.

و قال في قصيدته "رسول السلام":

لم يرد للعباد عيش مطايا تمتطيها الأوهام والأهواء[5]

حيث كنى عن الكفر "بعيش مطايا" لأن في كلٍ منهما فوضى عارمة.

---

١ ديوان الشاعر، ص٤٢
٢ ديوان الشاعر، ص٩٦
٣ ديوان الشاعر، ص٨
٤ ديوان الشاعر، ص٣٤
٥ ديوان الشاعر، ص٦

و قال في قصيدته "العربية لغتنا":

لكنما لغة القرآن رايتنا في ذلها الذل في إعلائها الشمم[1]

حيث كنى عن اللغة العربية بلغة القرآن.

وقال في قصيدته " الجنود المرابطة تحت لواء الرابطة":

ذاب الفؤاد وأضنى حفنـــــي الأرق شوقاً لأرضٍ بها الإيمان ينبثق

تلك الرحاب بها القرآن قد سطعت آيـــــاته فتوارى الليل والغسق

به استنار الورى بل منه قد فهموا سرّ الحياة ومغزى ماله خُلقوا[2]

فقد كنّى عن مكة المكرمة في البيت الأول "بأرض بها الإيمان ينبثق"، وكنّى عن التوحيد وعبادة الله وحده "بسر الحياة ومغزى ما له خلقوا" كل ذلك جاء على طريق الكناية بالموصوف إشارة، بحيث ينتقل الذهن مباشرة من اللازم إلى الموصوف.

ثالثاً: الرمز،

وهي كناية قلت وسائطها، وخفي معناها بلا تعريض. وتحتل المرتبة الثالثة في شعر حسب الله من حيث الاستخدام، ومنها قوله في قصيدته "على ضفاف نهر النيجر":

هي الآداب تُزهر حين تسقى رحيقاً فيه حب وانتقاد[3]

فقد رمز الشاعر للاهتمام بالآداب ونقدها بـــــ " تسقى رحيقا" على سبيل الكناية عن موصوف.

وقال في القصيدة نفسها:

ومن يحدو الكتائب حين تسري إلى الميدان إذ يدعو الجهاد[4]

كما رمز لدور الشاعر وأهميته في رفع همم المجاهدين بـــ(يحدو الكتائب) لأنّ الحدْو حقيقة الغناء للإبل، حيث يغني لها صاحبها فتشتدّ في السير.

---

١ ديوان الشاعر، ص٧٧

٢ ديوان الشاعر،ص٥٠

٣ ديوان الشاعر،ص٤٥

٤ ديوان الشاعر،ص٤٥

رابعاً، التعريض:

التعريض لغة هو: " خلاف التصريح وقد يكون بضرب الأمثال أو ذكر الألغاز في جملة المقال"[١].

واصطلاحاً:" هو أن تذكر جملة من القول وتريد بها شيئا آخر. لكن هذا الشيء لا يُفهم بطريق اللزوم؛ بل إنما يفهم من السياق، وسمي تعريضاً لأنّ المعنى يفهم من عرضه أي: جانبه "[٢]. ومن أفضل التعريض مما يجل عن جميع الكلام قول الله عز وجل:﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيْم﴾ [٣] أي: الذي كان يُقال هذا أو يقوله، وهو أبو جهل؛ لأنه قال: ما بين جبليها –يعني مكة– أعزّ مني ولا أكرم، وقيل: بل معنى ذلك على سبيل الاستهزاء به. [٤]

والتعريض في شعر حسب الله قليل، ومن أمثلته قوله من قصيدته " دمعة وفاء ":

ومن غرس البذور جنى ثمارا ومن غرس المنى فله الشّحوب

وليس العلم فرضاً في فريق ولكن كلّنـــا شمل الوجـــوب[٥]

المعنى: أن من غرس بذوراً مفيدة جنى وقت الحصاد ثماراً مفيدة. أما من لم يغرس شيئا وتمنى الأماني فقط، لن يجد شيئا وقت الحصاد.

فقد عرّض الشاعر في البيت الأول بغرس البذور للشباب الذين يكدُّون فيجدون نتيجة كدِّهم، كما عرّض بغرس المنى للكسالى الذين لا يجدون شيئا.

وقال في قصيدته " العربية لغتنا ":

تَلقى الدخيل بعينيْ مجهر فطـــــن إنّ الدخيل على الأوطان متّهم[٦]

سمحاء تزخر بالأخلاق فتيتهـــا فإنما الأمم الأخـــــلاق والقيم

نريدها حرة عظمى دعائمـــــــــــها العدل والأمن والقانون والقلم

---

١ لسان العرب: مادة (عرض) ج: ٧، ص: ١٨٣.

٢ ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، بيروت، مطبعة الرسالة، تحقيق أحمد الحوفي، جـ:٢،ص: ١٨٦.وانظر كذلك: أحمد عبد الواحد الدراسات البيانية، ص: ٣٣٣- ٣٣٤.

٣ سورة الدخان، الآية ٤٩

٤ العمدة، لابن رشيق القيرواني، ص٣٠٤

٥ ديوان الشاعر،ص١١١

٦ ديوان الشاعر،ص٧٥

ففي كل بيت من هذه الأبيات تعريض بموصوف وهو وطن الشاعر، فقد عرّض بذكر الصفات المطلوب تحقيقها في الوطن وهي لم تتوفر الآن، فقد عرّض في البيت الأول والثاني بطب الحرية والعدل والأمن والعلم، أما في البيت الثاني فقد عرّض بطلب التحفظ من المستعمر السابق لتشاد (فرنسا) لأنه يشكل خطراً دائما على مستقبل الوطن.

وقال في قصيدته " نفحات و لفحات":

قوّادنا هـــذه آلام أُمّتنـــــــــا نرجو لها بلسماً من كفّ آسينـــا

نرنو لكل زعيمٍ بل نصيـــــح به نريد بدراً ويرموكاً وحطّيـــــــنا

كونوا جميعاً صلاح الدين واتحدوا تغد الشعوب لكم جنداً مطيعينـــا[1]

ففي كل بين من هذه الأبيات تعريض بموصوف وهو زعماء المسلمين اليوم، فقد عرّض لهم في البيت الأول بعدم تحملهم المسؤوليات أمام أمتهم المسلمة، وفي البيت الثاني تعريض لهم بتعطيلهم للجهاد في سبيل الله. وفي البيت الثالث عرض لهم بعدم القيادة المثالية قيادة صلاح الدين الأيوبي.

---

١ ديوان الشاعر،ص٣٥

المبحث الثالث : الكناية عن نسبة

وهي: " أن يذكر الموصوف ويذكر مع شيء ملازم له، وتذكر الصفة، ثم تنسب هذه الصفة إلى شيء ملازم للموصوف، ومن ذلك قول السكاكي في هذا النوع من الكناية: فهي "تخصيص الصفة بالموصوف"، أو إثبات أمر لأمر أو نفيه عنه "[1].

وكثيرا ما ورد هذا النوع في القرآن الكريم، ومنه قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴾[2] معناه: نزل بهم، والعرب تجتزئ بالساحة العقوة من القوم ومعناه واحد: "نزل العذاب بك وبساحتك سواء "[3].

ومن ذلك قول زياد الأعجم[4]:

إن السماحة والمروءة والندى في قبة ضربت على ابن الحشرج

حيث كنى عن حسن أخلاق الممدوح وكرمه بنسبة هذه الصفات إلى ماله به اتصال (قبة).

وهذا النوع له وجود في شعر حسب الله رغم أنه أقل من سابقيه. أما من حيث الوسائط فقد أكثر الشاعر من استخدام التلويح، ثم الإشارة، أما الرمز والتعريض فلم يعرف لهما وجود في الكناية عن نسبة.

أولاً:التلويح:وهي كما سبق كناية كثرت فيها الوسائط، ومن أمثلتها قوله في قصيدته " في آفاق القرآن ":

حلِّقي يــا روح في عليـــــائــه واستشفّي الحق من أضوائــه
فالهدى في هديه والفـــــوز فــي نهجــه والمجد في إعــلائــه[5]
واسبحي ما شئتِ لكن نحـــــوه فالهدى والأمن فــي مينـائــه
وانهلي الإيمان من ينبوعـــــــه ليس أزكى منبعــاً من مائــه

---

١ مفتاح العلوم ، ص ٣٤٨.وانظركذلك صناعة الكتابة، ص:٣٥٤

٢ سورة الصافات: ١٧٧.

٣ أحمد عبد الواحد،الدراسات البيانية، ص: ٣٣٣- ٣٣٤.

٤ هو: زياد بن سليمان أبو أمامة العبدي، من شعراء دولة الأموية كان في لسانه عجمة فلقب بالأعجم، ولد ونشأن في أصفهان وانتقل إلى خراسان فسكنها فطال عمره ومات فيها حولي سنة ١٠٠هـ ٧١٨م انظر الأعلام للزركلي، جـ: ٣،ص: ٥٤.

٥ ديوان الشاعر،ص١١-١٥

فقد وصف الشاعر القرآن الكريم في كل بيت من هذه الأبيات بأوصاف جميلة لكن هذه الأوصاف لا ينسبها إليه مباشرة؛ بل أسندها إلى ماله اتصال به، ففي البيت الأول وصفه بالعلا والوضوح في الحجة والبرهان ولكنه أسند كل ذلك إلى أضوائه، كما وصفه في البيت الثاني بالإيمان وطيب المنهل ثم أسند ذلك إلى ماء القرآن، وفي البيت الثالث وصفه بالسلامة والأمن والهدى ثم أسند كل تلك الصفات إلى ميناء القرآن، أما في البيت الأخير فوصفه بثلاثة أوصاف: الهدى والفوز والمجد وجعل لكل واحدة منها سنداً، فسند الهدى هدي القرآن، وسند الفوز نهجه، وسند المجد إعلاؤه.

وقال في قصيدته " مكة الخير ":

ومنها قوله من قصيدته " خواطر في ذكرى غزوة بدر"

وجُدتَ على بعضٍ بعفوٍ تفضلاً فمثلك من يعفو ومالك من مثل[1]

فقد كنى عن النبي صلى الله عليه وسلم، بنسبة صفة العفو إلى من يشابهه على طريق الكناية؛ ثم نفى بعد ذلك وجود مشابه له، وهذا النوع أبلغ من أن ينسب إليه العفو مباشرة.

ومن ذلك ما قاله الزمخشري:"قالوا مثلك لا يبخل ،فنفوا البخل عن مثله وهم يريدون نفيه عن ذاته ، قصدوا المبالغة في ذلك فسلكوا به طريق الكناية ،لأنهم إذا نفوه عمن يسد مَسدّه وعمن هو على أخص أوصافه ، فقد نفوه عنه، ونظيره قولك للعربي :العرب لا تخفر الذمم، كان أبلغ من قولك: أنت لا تخفر.[2]

وقال في قصيدته"في آفاق القرآن":

قد أذاب العقل في كأس الطلا واستقى التفكير من أمعائه [3]

حيث كنى عن السكر بكأس الطلا، ولكنه نسب ذوبان العقل إلى الكأس الملازم للخمر بدلاً من الخمر وسكرها مباشرة، على طريق الكناية عن نسبة.

---

١ ديوان الشاعر،ص٢١

٢ الزمخشري (الإمام أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن محمد) ، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، ج٤،ط١، بيروت – لبنان، دار الكتب العلمية، ١٤١٥ هـ ١٩٩٥ م، ص ٢٠٦

٣ ديوان الشاعر، ص١٢

ثانياً: الإشارة: وهي الوسيط الثاني الذي نتعرض له بعد الفراغ من التلويح ، ومن أمثلته قوله في قصيدته "الجنود المرابطة تحت لواء الرابطة":

ذاب الفؤاد وأضنى جفني الأرق شوقاً لأرضٍ بها الإيمان ينبثق[1]

حيث كنى في الشطر الأول عن التعب الذي نسبه إلى الجفن على سبيل الإشارة في الكناية عن نسبة.

ومنها قوله من قصيدته " كفالة اليتيم":

مَدّوا على هذا اليتيم ظلالهم من برِّهـــم يأتي له مقدار[2]

فقد كنّى عن الأيادي المتصدقة بالظلال التي هي من لوازمها، لأن اليد تريح اليتيم بعطائها، كما يريح الظل كل من لجأ إليه من حر الهجير.

أغراض الكناية في شعر حسب الله

إن أغراض الكناية في كثرتها فإن أهم ما جاء في شعر فضلة ،:

١. تأكيد المعنى بوضعه في صورة محسوسة واضحة وذلك كقوله من قصيدته "إلى شباب تشاد":

وأجـــدادٍ لنـــا كرهوا القيـــودا ولم يقعوا لمخلوق سجـــودا

إذا ما استغضبوا لبسوا الحديد شعارهم أموت ولا أبـــالي[3]

٢. أن الكناية عنده هدفها أن تمكن صاحبها من أن ينال من خصمه دون أن يجعل له عليه سبيلاً ، ودون أن يخدش وجه الأدب وذلك كقوله من قصيدته " العربية لغتنا":

أيستوي التبر والفخار في ثمن أم الأتان مع الصاروخ تستهم[4]

٣. التعبير عن لشيء جميل تستحسنه النفس وتستلذه الأذن بدلا من الميل إلى اللفظ المستهجن، وذلك كقوله من قصيدته "صفحة من الكفاح والصمود " :

حاكوا الدسائس حول الشيخ فانتشرت منهم عليه كلاليب وأحبال[5]

---

١ ديوان الشاعر،ص٥٠
٢ ديوان الشاعر،ص٩٩
٣ ديوان الشاعر،ص٧٣
٤ ديوان الشاعر،ص٧٨
٥ ديوان الشاعر،ص٨٢

الخاتمة:

الحمد لله الذي ذلّل لي الصعاب في دراسة هذا الموضوع، وأمدني بالصبر للوصول إلى هذه المرحلة من الدراسة، إذ أن البحث في مجال البلاغة ليس أمراً سهلاً؛ لاسيما الجانب البياني منه، ومع ذلك فإن هذا البحث ما هو إلا جهد إنسان يصيب ويخطئ.لأن الهدف من هذه الدراسة هو تسليط الضوء على الصور البيانية الواردة في شعر حسب الله مهدي فضله للوقوف على مقدرته من التفنن في استعمال تلك الصور، ومعرفة معينها المستقاة منه. ومن النتائج التي توصلت إليها في هذه الدراسة:

١-التشبيه بألوانه الحسي والعقلي والمختلف هو أكثر أنواع الصور وروداً في شعره، أما ي التشبيه الحسي فإنّ تشبيه المبصر بالمبصر هو الأكثر شيوعاً، ثم يليه الملموس بالملموس، ثم المذوق بالمدوق، وأخيراً المسموع بالمسموع وهو نادر.
كما أن تشبيه المفرد بالمفرد هو الغالب، ثم يليه المتعدد فالمركب.

أما في وجه الشبه فإنّ التشبيه المفصل أكثر شيوعاً من المجمل ، وهذا دليل على وضوح الصورة وميل الشاعر إلى الاختصار، كما أن تشبيه التمثيل نادر في حين أن التشبيه غير التمثيل هو الشائع.

أما في أداة التشبيه فإنه كان يستخدم التشبيه البليغ أكثر من المؤكد والمؤكد أكثر من المرسل، مما يدل على قصر الصور وإخفائها.

٢- أكثر أنواع الاستعارة هي التصريحية ، والمجردة أكثر من المطلقة، والمطلقة أكثر من المرشحة.

٣-أكثر علاقات المجاز المرسل: المحلية ثم تليها الجزئية ثم الحالّية ثم الكلية ثم اللازمية ثم السببية ثم الآلية ثم المسببية.

الكناية عن صفة هي الأكثر شيوعاً، ثم تليها الكناية عن موصوف، ثم الكناية عن نسبة، وفي كلٍ منها الغالب هو التلويح ثم الإشارة ثم الرمز ثم التعريض، وهذا الأخير نادر مما يدل على ميل الشاعر إلى أســلوب العفة وعدم الاصطدام بالآخرين.

وكل ذلك دليل على اتجاه الشاعر نحو التقليد المحافظ بشكل واضح، ولا يميل إلى غيره من الاتجاهات الأخرى.

وإذا كان لابد من توصيات فإني أوصي بما يلي:

- الاهتمام بالدراسات البلاغية والنقدية رغم صعوبتها إلا أنها كفيلة بإيضاح حقائق التنزيل، وإفصاح دقائق التأويل وإظهار دلائل الإعجاز.

- التعمق في دراسة الأدب التشادي الذي ما تزال أرضه بكراً لم تطأها أقلام الباحثين؛ لاسيما الجانب البلاغي النقدي منها.

- إتباع هذه الدراسة بدراسات أخرى تتجلى من خلالها كنوز ديوان الشاغر المدفونة وتتراءى فيها لآلئه المكنونة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ،،،،

مستخلص البحث

للصورة البيانية مكانة هامة في الدراسة الأدبية، ويتضح ذلك جلياً قي تحليل النصوص الشعرية وشـــرحها، إذْ أنَّ الصورة هي الكفيلة بفك الرموز والمبهمات قي كل أدب من الآداب.

تهدف هذه الدراسة إلى الوقوف على أساليب التصوير البياني لدى الشاعر التشادي حسب الله مهدي فضـــله فـــي ديوانه: (نبضات أمتي)، ودراستها دراسةً بلاغية نقدية تطبيقية. واتبع الباحث أثناء الدراسة المنهج التاريخي الذي غطى الفصل الأول المتعلق بوطن الشاعر ومولده ونشأته وثقافته وتأثره، والمنهج التحليلي الاستقرائي الذي تم فيه عرض الظواهر قبل تحليلها واستنباط النتائج منها. مستعيناً في ذلك بالمنهج الإحصـــائي فـــي حصـــر الصـــور وتوضيح نِسَبِها المتفاوتة. ومن ثم توصّل إلى النتائج والتوصيات التالية:

١- التشبيه بألوانه الحسي والعقلي والمختلف هو أكثر أنواع الصور وروداً في شعره، أما في التشبيه الحسي فإنّ تشبيه المبصر بالمبصر هو الأكثر شيوعاً، ثم يليه الملموس بالملموس، ثم المذوق بالمذوق، وأخيـــراً المســـموع بالمسموع وهو نادر. كما أن تشبيه المفرد بالمفرد هو الغالب، ثم يليه المتعدد فالمركب.

أما في وجه الشبه فإنّ التشبيه المفصل أكثر شيوعاً من المجمل، وهذا دليل على إيضاح الشاعر للصورة، كما أن تشبيه التمثيل نادر في حين أن التشبيه غير التمثيل هو الشائع.

أما في أداة التشبيه فإنه كان يستخدم التشبيه المؤكد أكثر من المرسل والمرسل أكثر من البليغ ، مما يـــدل علـــى قصر الصور ووضوحها.

٢- أكثر أنواع الاستعارة هي التصريحية، كما أن المجردة أكثر من المطلقة، والمطلقة أكثر من المرشحة.

٣- أكثر علاقات المجاز المرسل: المحلية ثم تليها الجزئية ثم الحالّية ثم الكلية ثم اللازمية ثم السببية ثم الآلية ثـــم المسببية.

٤- الكناية عن صفة هي الأكثر شيوعاً، ثم تليها الكناية عن موصوف، ثم الكناية عن نسبة، وفي كلٍ منها الغالب هو التلويح ثم الإشارة ثم الرمز ثم التعريض، وهذا الأخير نادر مما يدل على عفة لسان الشاعر.

ومن خلال هذه التحليلات المختلفة على مستويات الأسلوب البياني لدى الشاعر يمكن القول باطمئنان بأنه ينتمـــي إلى الاتجاه التقليدي المحافظ بشكل واضح، ولا يميل إلى الاتجاهات الأخرى المخالفة لهذا الاتجاه. ومما يوصي به الباحث:

- الاهتمام بالدراسات البلاغية والنقدية .

- التعمق في دراسة الأدب التشادي الذي ما تزال أرضه بكراً لم تطأها أقلام الباحثين؛ لاسيما الجانـــب البلاغـــي النقدي منها.

- إتباع هذه الدراسة بدراسات أخرى تتجلى من خلالها كنوز ديوان الشاغر المدفونة وتتراءى فيها لآلئه المكنونة.

Abstract

The elocution expressions have an important role in literature studies .the is an evident for itself, when explains and analyzing the lyrical texts .it is worth mentioning that the image is responsible for explaining the symbols and ambiguity in all arts of the literature .
The study aims to investigate the elocutionary imagination patterns which are related to the Chadian poet Hasab alla Mahdi Fadlah who's in his lyrical band (Nabadatu Ummatti) and study them in rhetorical, critical and empirical way.
The researcher used in his study the historical method which covers the first section concerning the nativity of poet, country, culture, and influence, the researcher also used the investigatory method in which the phenomena were viewed before analyzing and interfering the results form then .in addition, he followed up the statistical method in order to confine the portraying and to show their distinct rates.
Then the following results and recommendations were reached:

١- the more types of likening in his lyric are sensitive ,intellectual and various for the sensitive likening the visual things should be likened visual and this is the more prevailing then came the touchable likening by touchable and thirdly comes thing .Finally comes the audible likening which are made by audible things.
In addition to this, the singular is likened by singular, then followed by various and composed likening.
The similar aspect is that the detailed likening is more prevailing than collective likening, and this is evidence that the poet explains the image .the elocution likening is rarely used, while the nonelection likening is often used.
Regarding the tools of likening, the poet used the absolute likening more than the synecdoche, and the later one is more than the rhetoric likening which means the clearness of the image.

٢. The declarative metaphor is most used, the abstract metaphor is used more than the absolute one and one and absolute metaphor is used more than descriptive metaphor.

٣-The most relations of unlimited metaphor are: local which is following by partial, conditional total and descriptive, then causal and reasoned.

٤-The description allegory is the most prevailing, then tools which are mostly used in this case is hinting simply and visualizing .this later is an evidence for the fluency of the poet.
Through these different analyses on the level of fluent style it can be said than the poet belongs to the traditional and conservative trend and has no other tendency.
The recommendations made by the researcher:
-The rhetorical and critical studies should be taken into consideration.
Literature on the rhetorical and critical aspects.
-More studies should be conducted to discover the disappeared treasure and pearl of this poet.

أولاً: المصادر والمراجع:

١-القرآن الكريم

٢-ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، بيروت، مطبعة الرسالة، تحقيق أحمد الحوفي، جـ:٢

٣-أحمد أحمد بدوي، أسس النقد الأدبي عبد العرب، نهضة مصر للطباعة، بدون تاريخ

٤-أحمد الشايب،الأسلوب،ط٦،القاهرة، مكتبة النهضة المصرية،١٩٦٦م

٥-الآمدي(الحسن بن بشر الآمدي البصري)، الموازنة بين أبي تمام والبحتري،بيروت- لبنان،دار الكتب العلمية،ط١ ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م

٦-امرئ القيس (جحر ابن الحارث)، ديوانه، تحقيق أبو الفضل،ط٤، مصر:دار المعارف بدون تاريخ

٧-بدوي طبانة، البيان العربي، ط٣، مصر، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٦٣م

٨-التفتازاني (سعد الدين) ، شروح التلخيص على تلخيص المفتاح للخطيب القزويني،ومواهب الفتاح لابن يعقوب المغربي،وعروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح لبهاء الدين السبكي،لبنان بيروت،دار النشر

٩-التيجاني (الحاج مكي عبد الله)، طريق الهدي والرشاد في التصوف القويم

١٠-الجاحظ (عمرو بن بحر)، البيان والتبيين، ج١، تحقيق فوزي عطوي ،بيروت لبنان ، الشركة اللبنانية للكتاب

١١-الجبوري (جميل عائد)، دراسات في الحضارة الإسلامية، الطبعة الأولى بدون تاريخ

١٢-الجرجاني (أبوبكر عبد القاهر بن عبد الرحمن محمد)، أسرار البلاغة، بيروت ،دار الكتب العلمية،١٩٨٨م

١٣-الجرجاني(أبوبكر عبد القاهر بن عبد الرحمن محمد)، دلائل الإعجاز، تعليق: محمود محمد شاكر، القاهرة، بدون تاريخ

١٤-حسن إسماعيل عبد الرازق، البلاغة الصافية في المعاني والبيان والبديع،ط١،القاهرة،المكتبة الأزهرية للتراث،٢٠٠٦

١٥-حسن محمد حسن: تاريخ الشعر التشادي، دار طيبة للطباعة، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤

١٦-الحموي،(ابن حجة الحموي) خزانة الأدب وغاية الأرب، الطبعة الأولى، بيروت، مكتبة الهلال،سنة ١٩٨٧م

١٧-الخطيب القز ويني(جلال الدين محمد بن عبدا لرحمن) ،الإيضاح في علوم البلاغة، بيروت، دار إحياء العلوم، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م

١٨-الخطيب القزويني(جلال الدين محمد بن عبد الرحمن) ، تلخيص المفتاح في المعاني والبيان والبديع ، صيدا-بيروت- لبنان ،المكتبة العصرية،١٤٢٨هـ ٢٠٠٨م
١٩-الخفاجي (ابن سنان) ، كتاب سر الفصاحة، دراسة وتحليل:عبد الرازق أبوزيد زايد،مكتبة الشباب،بدون تاريخ
٢٠-ابن خلكان (أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر) ، وفيات الأعيان وأنباء الزمان، تحقيق إحسان عباس، بيروت ،دار الثقافة
٢١-الدّكو (فضل كلود)، الثقافة الإسلامية في تشاد في العصر الذهبي لأميراطورية كانم، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م
٢٢-ديزيره سقال،علم البيان بين النظريات والأصول ، بيروت، دار الفكر العربي، الطبعة الأولى ، ١٩٩٧
٢٣-الزمخشري (الإمام أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن محمد) ، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، ج٤،ط١، بيروت – لبنان، دار الكتب العلمية، ١٤١٥ هـ ١٩٩٥ م
٢٤-الزمخشري، أساس البلاغة، بيروت دار صادر، ١٤١٢هـ ١٩٩٢م
٢٥-ابن زملكان، التبيان في علم البيان المطلع على إعجاز القرآن، تحقيق:أحمد مطلوب وخديجة الحديثي، بغداد، مطبعة العاني، ١٣٨٣هـ- ١٩٦٤م
٢٦-السكاكي (أبي يعقوب يوسف بن أبي بكر بن محمد)، مفتاح العلوم، تحقيق حمدي محمدي قابيل،القاهرة،المكتبة التوفيقية،بدون تاريخ
٢٧-السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع،المنصورة،مكتبة الإيمان،١٤٢٠هـ-١٩٩٩م
٢٨-السيد أحمد بن زينى دحلان، مجموع خمس رسائل لدحلان،مصر،مطبعة مصطفى محمد،١٣٥٥هـ-١٩٣٧م
٢٩-سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، ط٧، بيروت،دار الشروق،١٩٨٢م
٣٠-شفيع السيد، تجارب في نقد الشعر، القاهرة، مكتبة الشباب، ١٩٨٧م
٣١-الصابوني (محمد علي)، تفسير روائع البيان، ط٢، دمشق، دار العلم،١٩٩٢م
٣٢-الصابوني (محمد علي)، صفوة التفاسير، ط٩، القاهرة، دار الصابوني ب.ت
٣٣-الصفدي (صلاح الدين خليل ين أبيك) ، كتاب الوافي بالوفيات ،تحقيق:أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، بيروت-لبنان،دار إحياء التراث العربي١٤٢٠هـ٢٠٠٠م
٣٤-طرخان(إبراهيم علي)، إميراطورية البرنو الإسلامية، الهيئة العامة للكتاب سنة ١٩٧٥م،

٣٥-عباس محمد عبد الواحد: الملامح، ديوان شعر
٣٦-عبد الرحمن البرقوقي ، شرح ديوان المتنبي، ج١، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٨٠م
٣٧-عبد العزيز عتيق، علم البيان بين النظريات والأصول، بيروت، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م
٣٨-عبد الفتاح عثمان، التشبيه والكناية بين التنظير البلاغي والتوظيف الفني، مكتبة الشباب ١٤١٣هـ-١٩٩٣م
٣٩-عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية علم البيان ،بيروت،دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ١٤٠٥هـ١٩٨٥م
٤٠-عبد الفتاح لاشين،البيان في ضوء أساليب القرآن،القاهرة،دار المعارف،١٣٩٧هـ-١٩٧٧م
٤١-عبد الهادي العدل، دراسات تفصيلية شاملة لبلاغة عبد القاهر في التشبيه والتمثيل والتقديم والتأخير،القاهرة،دار الطباعة المحمدية،ط ١٣٧٨،٢هـ١٩٥٨م
٤٢-عدنان حسين قاسم، التصوير الشعري رؤية نقدية لبلاغتنا العربية، الكويت، مكتبة الفلاح، الطبعة الأولى،١٤٠٨هـ١٩٨٨م
٤٣-العسكري(الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن معدان)، كتاب الصناعتين، القاهرة، دار المعارف، الطبعة الأولى، ١٩٥٢م
٤٤-العلوي(يحيى بن حمزة)، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم خصائص الإعجاز، بيروت لبنان،دار الكتب العلمية،١٤٠٠٥١٩٨٠م
٤٥-أبوفرج الأصفهاني، الأغاني، بيروت، دار الكتب العلمية للطباعة والنشر،
٤٦-فضل حسن عبد الله، البلاغة فنونها وأفنانها، البيان والبديع ، الطبعة الأولى، الأردن،دار الفرقان، سنة ٢٠٠٥م
٤٧-فضله(حسب الله مهدي)، نبضات أمتي(ديوان شعر) انجمينا تشاد،الطبعة الأولى:٢٠٠٦م
٤٨-فكتور الكك/ أسعد أحمد علي، صناعة الكتابة، الطبعة الرابعة، دار السؤال، دمشق، ١٤٠١هـ- ١٩٨١م،
٤٩-قدامة بن جعفر،نقد الشعر،تحقيق كمال مصطفى، الطبعة الثانية،مصر،مكتبة الخا نجي.
٥٠-القيرواني(أبي الحسن بن رشيق) ، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، بيروت لبنان،دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة،ط٥ ، ١٤٠١هـ١٩٨١م
٥١-الماحي(عبد الرحمن عمر) ، تشاد من الاستعمار حتى الاستقلال، ١٩٠٠م - ١٩٦٠م،الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر ١٩٨٢م،

٥٢-الماحي(عبد الرحمن عمر)، المجتمع التشادي في عهد الاحتلال الفرنسي ١٩١٨ – ١٩٦٠م
٥٣-مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، بيروت، دار عمران، ط٣، ١٩٨٥
٥٤-محمد شيخون، الاستعارة نشأتها وتطورها، ط٢، مصر، مكتبة الكليات الأزهرية، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م
٥٥-محمد عبدا لعزيز، أطلس العالم للأطفال والناشئين، القاهرة، دار الطلائع للنشر والتوزيع، ٢٠٠٥م
٥٦-محمود السيد شيخون، الاستعارة نشأتها وتطورها، ط٢، مكتبة الكليات الأزهرية، ١٤٠٤هـ
٥٧-المراغي (أحمد مصطفى)، علوم البلاغة،البيان والمعاني والبديع، ط٢، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م
٥٨-ابن المعتز(عبد الله)، طبقات الشعراء، تحقيق عبد الستار أحمد فرج،مصر،دار المعارف للطباة والنشر،١٩٥٦م
٥٩-منظور(جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم) ، لسان العرب، دار صادر للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م، ج ٧
٦٠-منير سلطان، الصور الفنية في شعر المتنبي، الاسكندوية، دار المعارف٢٠٠٢م
٦١-الوصيف ابراهيم الوصيف هلال، التصوير البياني في شعر المتنبي، ط١، القاهرة، ٢٠٠٦م

ثانياً: المجلات العلمية:

١- عبد الله حمد نا الله، أولية الشعر التشادي، دارسات إفريقية ، مجلة بحوث نصف سنوية، يصدرها مركز البحوث والدراسات الإفريقية بجامعة إفريقيا العالمية، العدد (٨)، ديسمبر ٢٠٠٢م، شوال ١٤٢٣ه
٢- محمد عبدا لعزيز، أطلس العالم للأطفال والناشئين، (القاهرة: دار الطلائع للنشر والتوزيع، ٢٠٠٥م)
٣- نبيه الأصفهاني، أزمة تشاد بين الصراع المسلح والمصلحة الوطنية ، مجلة السياسة الدولية، القاهرة: مطبعة الأهرام، ١٩٧٩م

ثالثًا: المخطوطات (البحوث العلمية)

١- آدم عبد القادر، مشكلة انتاج البرامج الإخبارية التلفزيونية في تشاد، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير بكلية الإعلام – جامعة أم درمان الإسلامية ٢٠١٠م

٢- الجودلية بابكر ابراهيم محمد، الصور البيانية في شعر إبراهيم بن هرمة، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في البلاغة والنقد، بجامعة أم درمان الإسلامية، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٧م. بحث غير منشور
٣-حسن سيّار بشارة، تطور الوظيفة العمومية في تشاد، بحث لنيل درجة الماجستير بالمدرسة الوطنية للإدارة العمومية، الرباط ١٩٨٩م، بحث غير منشور
٤-محمد أحمد حامد إسماعيل حدربي ، التصوير البياني في شعر مسلم بن الولي الأنصاري، بحث مقدم للحصول على درجة الدكتوراه بجامعة أم درمان الإسلامية، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م بحث غير منشور
٥- موسي حمزة أحمداي ، الاتجاهات الشعرية في شعر حسب الله مهدي فضله، بحث مقدم لنيل دبلوم الدراسات المعمقة بجامعة الملك فيصل ، ٢٠٠٤م – ٢٠٠٥ م
٦- النعيم أحمد سليمان، الصور البيانية في ديوان أسلاك الجوهر للشوكاني، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في البلاغة والنقد، بجامعة أم درمان الإسلامية، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٧م. بحث غير منشور

رابعاً: المقابلات شخصية

١- مقابله شخصية مع السيد أحمد محمد الخيار سنة ١٩٩٩م الذي شهد المذبحة في الخامسة عشر من عمره.
٢- مقابله شخصية مع الشاعر حسب الله مهدي فضله أجريت بمعهد الخرطوم الدولي للغة العربية بتاريخ ٢٠٠٧/١١/٢٩م الساعة ١١:٤٠ دقيقة
٣- مقابلة مع الشاعر بتاريخ: ٢٠٠٧/١١/٣٠م بتمام الساعة السادسة مساء. المكان: معهد الخرطوم الدولي للغة العربية.
٤-مقابلة شخصية مع السيد محمد جرمه خاطر، مدير مكتب الرئيس ومترجمة أثناء لقائه بالشيخ عليش، وأجريت المقابلة معه في منزله بانجمينا في ١٩٩٨/٦/٢٥م.

خامساً: المصادر الأجنبية:

١- Bureau Central du Recensement Général de la Population et de L'Habitat ١٩٩٣, Volume ٣, Tome ٢, N'djamena, Juillet ١٩٩٥
٢- Constitution de la République du Tchad, Octobre ١٩٨٩ dité par la Présidence de la République.

٣- DREM, BRA. DEFPE. Département de Géographie de l'Université de N'djamena. Novembre ١٩٩٨.

٤- Fonds des Nations Unies pour la Population (L'UNFPA), Rapport sur l'état de la population mondial ٢٠٠٨.

٥- Issa H. Khayar, Le Refus de l'école, contribution à l'étude des problèmes de l'éducation chez les musèlements de l'Ouaddaï (Tchad), Paris, ١٩٧٥, in٨br.

٦-http://www.primature-tchad.com. Mis à jour, mercredi le ١٥ Août ٢٠٠٧

فهرس الموضوعات

الموضـــــــــــــوع	الصفحة
البسمـــــــــــــلة	أ
آي من الذكر الحكيم	ب
الشكر والتقـــــــدير	ج
الإهـــــــــــــداء	د
مقدمة البحـــــــث	١
الفصل الأول : حسب الله مهدي فضلة مولده ونشأته وثقافته	٥
المبحث الأول : وطن الشاعر	٦
المبحث الثاني : مولد الشاعر ونشأته وأسرته	١٩
المبحث الثالث : ثقافته وتعليمه وتأثره	٢٣
المبحث الرابع : مكانته الأدبية وأعماله الأدبية والفكرية	٣٤
الفصل الثاني : التشبيه	٤٠
مفهوم التشبيه	٤١
المبحث الأول : التشبيه باعتبار طرفيه	٤٢
المبحث الثاني : التشبيه باعتبار وجه الشبه	٦١
المبحث الثالث : التشبيه باعتبار أداة التشبيه	٦٧
الفصل الثالث : الاستعارة	٧٥
مفهوم الاستعارة	٧٦
المبحث الأول : الاستعارة التصريحية	٧٨
المبحث الثاني : الاستعارة المكنية	٨٥
الفصل الرابع : المجاز المرسل	٩٣
المحلية – الجزئية – الحالّية – الكلية – اللازمية – السببية – الآلية – المسببية	٩٤ – ١٠٧

الفصل الخامس : الكناية	**١٠٨**
مفهوم الكناية	**١٠٩**
المبحث الأول : الكناية عن صفة	**١١٢**
المبحث الثاني : الكناية عن موصوف	**١١٦**
المبحث الثالث : الكناية عن نسبة	**١٢٢**
الخاتمة	**١٢٥**
الملخص باللغة العربية	**١٢٦**
الملخص باللغة الإنجليزية	**١٢٧**
المصادر والمراجع	**١٢٨**
فهرس الموضوعات	**١٣٣**